مقدمة

وجدت نفسى مضطرًا لإصدار سلسلة "قضايا لاهوتية خطيرة" وذلك لأن العقيدة المسيحية أصبحت تواجه الكثير من المخاطر من الداخل وليس من خارجها فقط. بعض هذه المخاطر ليست جديدة ولكننى اكتشفت بعضها فى أواخر القرن العشرين وفى أوائل القرن الحادى والعشرين نتيجة كثرة ما صدر من كتب وضعتنا فى مواجهة مع مآسى عقائدية مرعبة تحتاج منا إلى وقفة ومراجعة لكل ما سبق تقييمه من عقائد لدى طوائف مسيحية أخرى.

إن هذه المآسى لن تثنينا عن المضى قدمًا فى السعى والعمل نحو الوحدة الأرثوذكسية والوحدة المسيحية بصفة عامة. ولكن ينبغى أن نفعل ذلك ونحن نعى تمامًا كل الخلفيات العقائدية التى تجرى فى وجدان الذين يحاوروننا أو على الأقل عند أعداد غير قليلة منهم، ومدارس لاهوتية انتشرت أو بدأت تنتشر عندهم بشكل يدعو إلى الحذر الكبير. ونأسف أنها قد تسللت عند بعض الكتّاب والوعاظ فى كنيستنا.

الرب يحفظنا فى إيمانه المستقيم الذى تسلمناه من الآباء بصلوات صاحب القداسة البابا الأنبا تاوضروس الثانى.



**عيد الآباء الرسل**

**واستشهاد الوالى مرقس مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى**

**والد القديسة دميانة ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس**

**12/7/2016م ورئيس قسم علم اللاهوت بمعهد الدراسات القبطية**

لقد اكتشفت مؤخرًا أمرًا فى غاية الخطورة وهو أن بعض الروم الأرثوذكس الخلقيدونيين قد أعلنوا وكتبوا أن الله هو جوهره وطاقاته أى الأوسيا ousia والأنرجيا energia، وليس جوهره فقط. **ويضيفون أنه بما أن طاقات الله هى الله فعندما نأخذ نحن النعمة فإننا نتحد بالله ونتأله.** وبصريح العبارة يقولون إن الطاقة هى الله وذلك فى كتاب نشر حديثًا وموجود بين أيدينا وضعه أحد رهبان جبل آثوس المعاصرين بعنوان " ***التأُّله هدف حياة الإنسان***" حيث كتب إستنادًا إلى مجموعة من الآباء اللاهوتيين البيزنطيين الخلقيدونيين مثل مكسيموس المعترف، ونيقوديموس الأثوسى:

**"إن قدرات الله هى قدرات إلهية، إن هذه القدرات هى الله بدون أن تكون جوهره، إنها الله لذلك تؤله الإنسان**".[[1]](#footnote-1)

وكتب أيضاً إستنادًا إلى ما أسماه تعاليم آباء الكنيسة (وهو يقصد الآباء فى الكنائس الخلقيدونية البيزنطية):

**"إن الله ليس وحسب جوهرًا كما يعلّم الغربيون، ولكن عنده أيضًا قدرة. فلو أن الله كان فقط جوهرًا لما استطعنا أن نتحد به أو أن تكون لنا به علاقة لأن جوهر الله مخيف ولا يمكن للإنسان أن يقترب إليه، بحسب الخروج (33: 20)".[[2]](#footnote-2)**

وكتب أيضاً إقتباساً من تعليم غريغوريوس بالاماس رئيس أساقفة تسالونيكى باليونان فى القرن الرابع عشر وهو من الآباء الخلقيدونيين الذين يعتبرهم قديسين وقال إنه:

"**لخّص اللاهوت الآبائى (بقوله) إن كليّة القداسة تأتى بعد الثالوث الأقدس مباشرة، هى إله بعد الله هى الخط الفاصل بين الخالق والمخلوق**".[[3]](#footnote-3)

**هنا ونسأل عن:**

**الطاقة الممنوحة من الله**

**أولاً:** كيف انقسمت ألسنة النار التى حلّت على الرسل فى يوم الخمسين؟ هل الله ينقسم؟

**ثانيًا:** هل الطاقات التى تمنح للخليقة وتصدر عن الجوهر الإلهى هى بإرادة الثالوث الأقدس أم بغير إرادته؟

**للرد نقول أن معلمنا بولس الرسول يقول:**

"فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ... وَلَكِنْ لَنَا **مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا**: أَنُبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ" (رو12: 3، 6).

وَلَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا **أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ** هِبَةِ الْمَسِيحِ" (أف4: 7)

"وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ **قَاسِمًا** **لِكُلِّ وَاحِدٍ** بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ" (1كو 12: 11).

**من طقس كنيستنا**

فى صلوات القسمة الثانية للآب يقول الكاهن:

"اللهم والد النور، ورئيس الحياة، واهب المعرفة. **صانع النعمة**، المحسن لنفوسنا، كنز الحكمة."

وهذا يؤكد أن النعمة مخلوقة وليست هى الله نفسه.

**ثم نستعين بأقوال الآباء القديسين معلمى الكنيسة كما يلى**:

**التمييز بين الطاقة والجوهر الإلهى فى أقوال الآباء**

**إن أقوال الآباء تبين التمايز بين الجوهر الإلهى البسيط غير المدرك، وبين الطاقات والنعم المخلوقة التى يمنحها الله والصفات أو الخواص المتعددة التى يمكن إدراكها وبالتالى لا تكون هى جوهره، إنما مجرد أننا نعرف الله غير المدرك من خلالها، وأيضًا التمايز بين الجوهر الإلهى وبين صفات الله وخواصه. وطبعًا الصفات والخواص ليست هى الله. إليك أمثلة من هذه الأقوال:**

**فى القداس الكيرلسى يقول الكاهن فى إستدعاء الروح القدس:**

"**البسيط فى طبيعته، الكثير الأنواع فى فعله،** ينبوع النعم الإلهية، المساوى لك، المنبثق منك" (القداس الكيرلسى حلول الروح القدس).

ويقول **القديس أثناسيوس** أن الله فى طبيعته هو **غير مركب** uncompounded in nature **وغير متجزئ**[[4]](#footnote-4) impartitive nature وأنه **جوهر بسيط**[[5]](#footnote-5) He is simple essence.

**وكتب القديس باسيليوس أن الجوهر الإلهى بسيط لكن القدرات متنوعة فقال:**

“…distributing Its energy according to “the proportion of faith;’ **in essence simple, in powers various**”[[6]](#footnote-6)

"موزعًا طاقاته وفقًا لنسبة الإيمان، **هو** **بسيط بحسب الجوهر لكن القدرات متنوعة**".

وكتب **القديس باسيليوس أيضًا** موضحًا الفرق بين الطاقات والصفات وبين الجوهر فقال:

“We say that we know the greatness of God, His power, His wisdom, His goodness, His providence over us, and the justness of His judgment; but not His very essence… our idea of God is gathered from all tire attributes which I have enumerated. But **God**, he says, **is simple**, and whatever **attribute of Him** you have reckoned as knowable is of His essence… For they confess themselves that there is a **distinction between the essence and each one of the attributes enumerated**. **The operations are various, and the essence simple**, but we say that we know our God from His operations, but do not undertake to approach near to His essence. His operations come down to us, but His essence remains beyond our reach”.[[7]](#footnote-7)

"نحن نقول أننا نعرف عظمة الله، وقدرته، وحكمته، وصلاحه، وعنايته بنا، وعدالة حكمه، لكن ليس جوهره ذاته... إن فكرتنا عن الله تتجمع من كل إطار **خواصه** التى عددتها. لكن الله، يقول، إنه بسيط، وأن أى خاصية له ظننت أنت أنها معروفة لك هى خاصية لجوهره... **لأنهم يعترفون أن هناك تمايز بين الجوهر وأى من الخواص المتعددة. إن الطاقات تتنوع أما الجوهر فبسيط**، **لكننا نقول أننا نعرف الله من طاقاته، على أننا لا نشرع فى الاقتراب من جوهره. إن طاقاته تأتى إلينا من فوق أما جوهره فيظل بعيدًا عن منالنا".**

وأضاف:

“So knowledge of the divine essence involves perception of His incomprehensibility, and the object of our worship is not that of which we comprehend the essence, but of which we comprehend that the essence exists”.[[8]](#footnote-8)

"إذن معرفة الجوهر الإلهى تتضمن إدراك أنه لا يسبر غوره، **وموضوع عبادتنا ليس هو أن نفهم الجوهر لكن أن نفهم أن هذا الجوهر كائن**."

وكتب **القديس غريغوريوس النزينزى** عن أننا نعرف الله من خلال خواصه:

“For neither has any one yet breathed the whole air, nor has any mind entirely comprehended, or speech exhaustively contained the Being of God. But **we sketch Him by His Attributes**, and so obtain a certain faint and feeble and partial idea concerning Him”[[9]](#footnote-9)

"لم يتنفس أحد بعد كل الهواء، ولا أى عقل أدرك إدراك كلى، أو أى حديث احتوى بطريقة شاملة كينونة الله. **لكننا نتصوره من خواصه،** وبهذا نقتنى فكرة باهتة وواهنة وجزئية عنه".

**عن صفات الآب والابن كتب القديس أثناسيوس**:

“The Father is eternal, immortal, powerful, light, king, Sovereign, God, Lord, Creator, and Maker. These **attributes** must be in the Image.”[[10]](#footnote-10)

"الآب هو أزلى، خالد، قادر، نور، ملك، سيد، رب، خالق، صانع. وهذه **الصفات** لابد أن تكون فى صورته."

ثم بوضوح كتب **القديس غريغوريوس النزينزى مفرقًا الجوهر عن الخواص بقوله**:

**“Are immortality and innocence and immutability also the essence of God? If so God has many essences and not one; or Deity is a compound of these. For He cannot be all these without composition, if they be essences.”[[11]](#footnote-11)**

**"هل الخلود والبراءة وعدم التغير هى أيضًا جوهر الله؟ إن كان كذلك لكان لله جواهر كثيرة وليس جوهر واحد؛ أو أن الألوهة مركبة من هذه. لأنه لا يمكن أن يكون الله كل هذه بدون تركيب إن كانت هذه جواهر."**

**إذن طاقة الله لا يمكن أن تكون هى الله..**

إن الطاقة تصدر بالإرادة.. والطاقة تكون مقسمة.. والطاقة تُمنح وتُعطى فى الزمن ولكن الله أزلى..

الطاقة ليست هى الله.. الله جوهر غير مقترب منه كما أكّد الآباء القديسون فى الأقوال السابق ذكرها. لذلك عندما أراد الله أن يسمى نفسه حينما سأله موسى عن نفسه قال: "**أهيه الذى أهيه**" أى "أكون الذي أكون" (خر3: 14) بمعنى أنه هو الكائن.. وهذا ما قاله حينما أشار إلى نفسه لموسى باسم "**يهوه**" أى **الكائن**. ولم يقل أنا الطاقة. **وفى قوله: "أنا هو" كان يشير إلى الجوهر الإلهى وفى ذلك كتب القديس أثناسيوس**:

“For though to comprehend what the essence of God is be impossible, yet if we only understand that God is, and if Scripture indicates Him by means of these titles, we, with the intention of indicating Him and none else, call Him God and Father and Lord. When’ then He says, ‘**I am that I am**,’ and ‘I am the Lord God,’ or when Scripture says, ‘God,’ we understand nothing else by it but the **intimation of His incomprehensible essence Itself**, and that He Is, who is spoken of. Therefore let no one be startled on hearing that the Son of God is from the Essence of the Father; but rather let him accept the explanation of the Fathers, who in more explicit but equivalent language have for ‘from God’ written ‘of the essence’.”[[12]](#footnote-12)

"ورغم أن فهم جوهر الله هو أمر مستحيل، إلا أننا إذا فهمنا أن الله كائن، وكما تشير إليه الأسفار بهذه الألقاب، فنحن، بغرض الإشارة إليه فقط ليس إلا، ندعوه الله والآب والرب. ثم حينما يقول **"أنا هو الذى أنا هو"** أو "أنا هو الله" أو كما تقول الأسفار "الله"، فإننا لا نفهم بذلك إلا **إعلان جوهره غير المدرك نفسه**، وأنه هو (يهوه) الذى نتكلم عنه. لذلك يجب ألا يتعجل أحد عند سماع أن ابن الله هو من جوهر الآب؛ لكن دعه يقبل شرح الآباء، الذين بلغة مساوية لكن أكثر وضوحًا كتبوا "من جوهر"[[13]](#footnote-13) فى مكان "من الله".

نقطة أخرى، هل عندما كلّم الآب الابن من السماء وهو فى نهر الأردن أو على جبل التجلى وقال: "هذا هو ابنى الحبيب" (مت 3: 17، ومت 17: 5) هل كان هذا الكلام والصوت الصادر من الآب هو الله نفسه!؟ هذه طاقة لأن الصوت هو طاقة...

أم أن هذه الطاقة هى أقنوم الابن؟! بالطبع ليست أقنوم الابن...

هل هناك أقنوم رابع اسمه الطاقة وهو ليس أقنوم؟!

**الطاقة evne,rgeia تصدر بحسب القصد والنعمة**

**أى بحسب الإرادة وليس بالطبيعة.**

**أما ولادة الابن وانبثاق الروح القدس فليس بإرادة الآب.**

**عن أن التدبير الإلهى من جهة الخليقة هو بالإرادة الإلهية كتب معلمنا بولس ومعلمنا يعقوب الرسول يقولان:**

* "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ للَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ **حَسَبَ قَصْدِهِ**" (رو8: 28).
* "لأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ وَلاَ فَعَلاَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا لِكَيْ يَثْبُتَ **قَصْدُ اللهِ** حَسَبَ الاِخْتِيَارِ لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو" (رو9: 11).
* "إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، **حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ**" (اف1: 5)
* "إِذْ عَرَّفَنَا **بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ**، حَسَبَ **مَسَرَّتِهِ** **الَّتِي** **قَصَدَهَا** فِي نَفْسِهِ" (اف1: 9)
* "الَّذِي فِيهِ أَيْضًا نِلْنَا نَصِيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا **حَسَبَ قَصْدِ** الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ **حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ**" (اف1: 11)
* "الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أعْمَالِنَا، بَلْ **بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ** وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (2تي1: 9).
* "**شَاءَ** فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ" (يع1: 18).
* "**لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ**، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ" (اف1: 10)
* "إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ **بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ** الْمُعْطَاةِ لِي لأَجْلِكُمْ" (اف3: 2)

**كتب القديس أثناسيوس مفرقًا بين ولادة الابن بالطبيعة وبين الطاقة الخالقة التى هى بالإرادة** فقال:

“For if He be not Son, neither is He Image. But if there be not a Son, how then say you that God is a creator? since all things that come to be are through the Word and in Wisdom, and without This nothing can be, whereas you say He hath not That in and through which He makes all things. **For if the Divine Essence be not fruitful itself, but barren, as they hold, as a light that lightens not, and a dry fountain, are they not ashamed to speak of His possessing framing energy? and whereas they deny what is by nature, do they not blush to place before it what is by will**? But if He frames things that are external to Him and before were not, by willing them to be, and becomes their Maker, much more will He first be Father of an Offspring from His proper Essence. For if they attribute to God the willing about things which are not, why recognize they not that in God **which ties above the will?** **Now** **it is a something that surpasses will, that He should be** **by nature, and should be Father of His proper Word**.”[[14]](#footnote-14)

"لأنه إن لم يكن إبنًا فهو ليس صورة. وإن لم يكن هناك إبن، كيف تقول إن الله خالق؟ بما أن كل الأشياء كائنة من خلال الكلمة وفى الحكمة وبدونهما لا يكون شيء، بينما تقول أن ليس له هذا الذى فيه ومن خلاله يصنع كل الأشياء. **لأنه إن لم يكن الجوهر الإلهى هو نفسه مثمرًا، لكن عقيمًا كما يتمسكون، مثل نور لا ينير ومثل ينبوع جاف، فهل لا يخجلون حينما يتكلمون عن أن له طاقة خالقة؟ وبينما ينكرون ما هو بالطبيعة هل لا يحمرون خجلاً من وضع ما هو بالإرادة قبله؟** لأنه إن كان يشكِّل الأشياء الخارجة عنه والتى لم تكن موجودة من قبل، بمجرد أن يشاء، فيصير صانعها، فبالأولى أن يكون أولاً والد لمولود من نفس جوهره لأنهم إن كانوا ينسبون لله الإرادة بخصوص الأشياء التى ليست موجودة فلماذا لا يدركون أن فى الله رباطات فوق الإرادة؟ **هى أمور تفوق الإرادة، التى ينبغى أن يكونها بالطبيعة، وينبغى أن يكون أب لكلمته الخاص."**

**وقال أيضًا:**

“Son implies something proper to His and truly from the blessed and everlasting Essence; **But what is from His will, comes into consistence from without**, and is framed through His proper Offspring.”[[15]](#footnote-15)

"إبن تعنى ما هو مطابق له وحقًا من الجوهر المبارك اللامتناه؛ لكن **ما هو بحسب إرادته فقد تكوّن من خارج**، وتشكل من خلال مولوده الخاص."

عن أن ولادة الابن هى بالطبيعة أما الخلق فهو بالإرادة كتب **القديس أثناسيوس** أيضًا ما يلى:

“**His own Word begotten from Him by nature**, **concerning Him He did not counsel beforehand**; for in Him the Father makes, in Him frames, other things whatever He counsels; as also James the Apostle teaches, saying, ‘**Of His own will begat He us** with the word of truth’ (Jm 1:18). Therefore the Will of God concerning all things, whether they be begotten again or are brought into being at the first, is in His Word in whom He both makes and begets again what seems right to Him.”[[16]](#footnote-16)

"ابنه الخاص هو **مولود منه بالطبيعة، وفيما يخصه هو فهو لم يستشر (مقصود التشاور بين أقانيم الثالوث وهو التدبير) قبلاً**؛ لأن فيه الآب يصنع، وفيه يشكّل، أما بخصوص باقى الأشياء مهما كانت فهو **يستشير**؛ كما يعلِّم يعقوب الرسول قائلاً: "**شاء فولدنا** بكلمة الحق" (يع1: 18). لذلك فإن مشيئة الله بخصوص كل الأشياء سواء مولودة ثانية أو مخلوقة من البداية، هى فى كلمته الذى فيه هو يصنع ويلد ثانية حسبما يرى".

وكتب **القديس أثناسيوس** أيضًا :

“A man by counsel builds a house, but by nature he begets a son; and what is in building began to come into being at will, and is external to the maker; but the Son is proper offspring of the Father’s essence, and is not external to him; wherefore neither does he counsel concerning him, lest he appear to counsel about himself. As far then as the Son transcends the creature, by so much does **what is by nature transcend the will**.”[[17]](#footnote-17)

"الرجل يبنى البيت بالمشورة، لكن بالطبيعة يلد إبنًا؛ وما فى البناء بدأ فى الوجود **بالإرادة، وهو خارجى عن الصانع**؛ أما الابن فهو مولود حقيقى من جوهر الآب وليس خارجًا عنه؛ لذلك هو لا يأخذ مشورة فيما يخصه، لئلا يبدو كأنه يأخذ مشورة عن نفسه. وحيث إن الابن يفوق الخليقة هكذا فإن **ما هو بالطبيعة يفوق ما هو بالإرادة**."

**وهذا يعنى أن ما هو بالطبيعة هو الله أما ما هو بالإرادة فليس هو الله بل طاقاته وعطاياه لأن ما هو بالطبيعة يفوق ما هو بالإرادة.**

وكتب أيضًا:

“It is by nature that He is good, much more is He, and more truly, **Father of the Son by nature and not by will.**”[[18]](#footnote-18)

"بحسب الطبيعة هو صالح، وأكثر من ذلك وحقًا **هو آب الابن بالطبيعة وليس بالإرادة**".

**أما القديس كيرلس الكبير** فقد كتب عن ولادة الابن بالطبيعة قائلاً:

“For He Who is **Son by nature** and in truth, and the Only –begotten, when He became like unto us, is specially declared to be the Son of God, not as receiving this for Himself-for He was and is, as I said, **very son**.”[[19]](#footnote-19)

"لأن الذى هو **ابن بالطبيعة** وبالحق، والابن الوحيد، حينما أخذ شبهنا أعلن خصيصًا أنه ابن الله، ليس لأنه أخذ ذلك لنفسه لأنه هو كان وهو كما قلت الابن الحقيقى."

**وكتب أيضًا:**

“For the created and subject nature is called to what is above nature by the mere nod and will of the Father; but the Son and God and Lord will not possess this being God and Son, by the will of God the Father, nor in that He wills it only, but **beaming forth of the Very Essence of the Father, He receives to Himself by nature what is Its own Good**.”[[20]](#footnote-20)

"فالطبيعة المخلوقة الخاضعة للخالق، دعيت إلى ما هو فوق الطبيعة بإرادة الآب فقط، **أما الابن، والإله والرب،** **فهو ليس الابن والإله بإرادة الآب واختياره**، **وإنما بالولادة من جوهر الآب ذاته يتقبل بالطبيعة كل ما للآب وصلاحه**".

**المفصل بين الأرثوذكسية والأريوسية:**

إن المفصل بين الأرثوذكسية والأريوسية كان: هل الابن مولود بإرادة الآب أم أنه مولود بالطبيعة؟

كل الصراع الأريوسى مفاده أن الآب كوّن لنفسه ابنًا بإرادته، وبه خلق العالم وكل الأشياء. وأن الابن جاء إلى الوجود من العدم بإرادة الآب، وأن الابن ليس من جوهر الآب، وكان هناك وقت لم يكن الله أبًا، وكان هناك وقت لم يكون الابن موجودًا لأنه مخلوق،[[21]](#footnote-21).. واستخدم كدليل أمثال 8: 22 "اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ. مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ مُنْذُ الْبَدْءِ مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ."[[22]](#footnote-22)

إن قضية الأزل ليست مشكلة كبيرة.. ففى سفر الرؤيا قيل إن الملاك "أَقْسَمَ بِالْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَمَا فِيهَا وَالأَرْضَ وَمَا فِيهَا وَالْبَحْرَ وَمَا فِيهِ، **أَنْ لاَ يَكُونُ زَمَانٌ بَعْدُ**" (رؤ10: 6). والأبدية هى الوجه المقابل للأزلية.. وبما أن هناك أشخاص سوف يدخلون إلى الحياة الأبدية هذا يعنى أنهم سوف يرتفعون فوق الزمن. هذا الارتفاع فوق الزمن لا يعنى الجوهر الإلهى.. ولكننا بالنعمة نعبر الزمن ونتحرر منه، ونصبح غير زمنيين، أى ندخل إلى الحياة الخالدة، ونتحرر من سلطان الزمن.

إن قال لك أحد أنا أؤمن أن المسيح مولود من الآب قبل كل الدهور، وقبل الأزمنة الأزلية، ولكن بقصد الآب وإرادته، عليك للتو أن ترفض ذلك رفضًا تامًا.

لقد وقع **أوريجانوس** فى هذا الخطأ وقد سجلها "**فيليب شاف**" وهو من أشهر مؤرخى الكنيسة. قال شاف إن **أوريجانوس** يقول إن الابن منفصل عن الآب فى الجوهر وأنه إله ثانٍ ولكنه منفصل عنه فى الجوهر، وأن ولادته أزلية من إرادة الآب.[[23]](#footnote-23) بمعنى أن أوريجانوس كان يقبل أن يكون الابن فوق الزمن ولكنه لا يقبل أن يكون له نفس جوهر الآب...

**النقطة الفاصلة فى القضية**

إن الطاقة تُعطَى مقسّمة، **وتُعطَى للخليقة فى الزمن**، وكل هذه هى طاقات إلهية، وهى النعمة الإلهية.

فيما يخص نقطة أن النعمة تعطى فى الزمن قد يردون علينا بقولهم إن معلمنا بولس الرسول قال: "بَلْ بمقتضى القصد وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ" (2 تى1: 9، 10).أى أن النعمةمجهزة منذ الأزل حتى ولو كانت قد مُنحت فى الزمن.

إن هذه الآية ذاتها سوف تثبت مفهومنا لأنه **هل النعمة تصدر من الله بإرادته أم بغير إرادته**؟! الرد هو أن النعمة تصدر بإرادة الله فالنص يقول "**بمقتضى القصد وَالنِّعْمَةِ**".

**وقد أوضح إكليمندس السكندرى أن صلاح الله إرادى فقال:**

**“God is not involuntarily good, the way a fire is involuntarily hot. Rather, in Him, the imparting of good things is voluntary…. Therefore, God does not do good by necessity, but He benefits others from His free choice.”[[24]](#footnote-24)**

**"الله ليس صالحًا لا إراديًا، مثل النار التى تكون ساخنة لا إراديًا. ولكن،** **فيه، تمنح الأمور الصالحة إراديًا.. لذلك، فإن الله لا يعمل الصلاح اضطرارًا، لكنه يفيد الآخرين بحرية الاختيار التى له**."

**نستنتج من ذلك أن طاقات الله ونعمه المعبّرة عن صفاته أى صفات جوهره تصدر بإرادة الله الحرة.**

هذا يعيدنا ثانية إلى السؤال التالى:

**هل الابن مولود من الآب بإرادة الآب أم بغير إرادته؟**

الذى يقول إن الابن مولود بإرادة الآب هو أريوسى. لأن الصراع الذى دار بين البابا ألكسندروس وأريوس كان سببه أن **أريوس كان يقول إن الابن مولود بإرادة الآب**. **أما البابا ألكسندروس وتلميذه القديس أثناسيوس الرسولى فقالا إن الابن مولود بالطبيعة وليس بالإرادة**. وكانت حجتهما فى الرد على هرطقة أريوس هى أنه إن كان الابن قد ولد بإرادة الآب لصار مخلوقًا..

الابن مولود من الآب بالطبيعة، لأنه لو كان مولودًا بالإرادة لكان مخلوقًا، حتى وإن كانت هذه الولادة قبل الزمن كما إدعى أوريجانوس والأريوسيون.. فإن كان الآب قد *أراد* أن يوجد له ابن حتى قبل أن يخلق الزمن، لكان الإبن مخلوقًا! لكن الحقيقة هى أن ما هو فوق الزمن أو ما هو فى الوضع الأزلى ليس له فارق زمنى، أى ليس فيه سابق ومسبوق. إذن القول بأن الآب قد ولد أو أنه يلد الابن بإرادته، هو مرفوض تمامًا.

كان هذا هو صراع القديس أثناسيوس ضد أريوس والأريوسيين: إنهم كانوا ينادون بأن الآب قد ولد الابن بالإرادة، أما كل الكنائس الأرثوذكسية التى كانت ضد الأريوسية فى ذلك الحين فكانوا يقولون إنه مولود بالطبيعة بدون أى تدخل لإرادة الآب. بمجرد أن تتدخل الإرادة يصير الابن مصنوعًا أو أول المصنوعات كما يقول الأريوسيون حتى لو كان ذلك قبل الزمن.

إذن، النعمة حتى ولو كانت مجهزة بسابق علم الله قبل الأزمنة الأزلية لأنه مكتوب أنها "مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ" (أع15: 18)، فهذا لا يعنى أن النعمة هى الله!

**هل يمكن أن نقول إن أعمال الله هى الله؟ هل الله يعمل نفسه؟!!**

**فى التدبير الأزلى يوجد القصد والنعمة، وهذه النعمة صادرة عن قصد الله، فالله هو مصدرها، وهو صاحب القرار فيها: يخلق أو لا يخلق، يخلص أو لا يخلص، ينعم أو لا ينعم، يقيم أو لا يقيم إلخ.**

**هنا ونصل إلى:**

**مفتاح الرد على هذا المفهوم الغريب**

**إن النعمة صادرة بإرادة الله، أما الأقانيم فهى بالطبيعة كما اتضح أيضًا من أقوال آباء الكنيسة. النعمة كائنة بإرادته والأقانيم كائنة بحسب الطبيعة، لأنه لا يوجد آب بغير ابن ولا ابن بغير آب.**

**هل يمكن أن تكون النعمة قد جُهزت قبل الأزمنة الأزلية؟** نعم، لا يوجد ما يمنع أن تكون النعمة قد تم تجهيزها قبل الأزمنة الأزلية "**مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ**" (أع15: 18) كما قلنا.

قال أوريجانوس أن الابن منفصل عن الآب فى الجوهر، وأنه إله ثانٍ، لكن الآب ولده بالإرادة قبل كل الدهور. وقد تتلمذ أريوس على تعاليم كل من أوريجانوس الإسكندرى ولوسيان الأنطاكى فخرج ببدعته. ومن يدخل إلى أعماق الهرطقة الأريوسية سوف يجد أن الأريوسيين لم يكونوا مصممين على أن الابن قد خلق فى الزمن، لأنه هو خالق كل الأشياء ومن ضمنها الزمن أيضًا حتى أن مجمع أنطاكيا الأريوسى 341م ذكر أن الابن مولود من الآب قبل كل الدهور،[[25]](#footnote-25) ولكن أريوس كان مصممًا على أن الابن جاء إلى الوجود من العدم بإرادة الآب.. فما كان مصممًا عليه هو أن الآب أوجد الابن **بإرادته**. من يرجع إلى المراجع التاريخية ويدرسها يجد أن الصراع الأريوسى-الأرثوذكسى منحصر فى هذه النقطة وهى: هل الابن جاء بإرادة الآب أم بالطبيعة؟ لأنه حسب الإيمان الأرثوذكسى هو مولود من الآب بالطبيعة لذلك لم تتدخل إرادة الآب إطلاقًا فى وجوده وإلا صار مخلوقًا..

وهكذا نكون قد وجدنا مفتاح حل هذه الإشكالية.

كما قلنا إن معلمنا بولس الرسول قال: "بمقتضى **القصد وَالنِّعْمَةِ** الَّتِي أعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ **قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ**" (2 تى1: 9). ويقول "**حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ**" (أف 1: 9). و"القصد" فى النص السابق هو الإرادة. بمعنى أن الآب السماوى جهّز فى قصده قبل الأزمنة الأزلية كل النعمة التى سوف يمنحها للخليقة من خلال ابنه المحبوب فى الزمن **لأن التدبير الإلهى غير مستحدث، لذلك فهو أزلى**...

**الطاقة التى يمنحها الثالوث للخليقة لها أصلها فى الآب وتتحقق من خلال الابن بواسطة الروح القدس.**

إن منح الطاقات الإلهية هو عمل مشترك (أو عام) للثالوث القدوس، وهو يبدأ من الآب ويأتى من خلال الابن ويتحقق فى الروح القدس.

قال القديس **غريغوريوس أسقف نيصص**:

“Every operation which extends from God to the Creation, and is named according to our variable conceptions of its origin from the Father, and proceeds through the Son and is perfected in the Holy Spirit.” [[26]](#footnote-26)

"كل عملية تأتى من الله إلى الخليقة، وتسمى بحسب فهمنا المتنوع لها. لها أصلها من الآب وتأتى إلينا من خلال الابن وتكتمل فى الروح القدس".

هذه العبارة قالها **القديس أثناسيوس** عدة مرات:

“The Father creates all things through the Word in the Holy Spirit.”[[27]](#footnote-27)

"الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح القدس".

وقال أيضًا :

“The Father does all things through the Word in the Holy Spirit.”[[28]](#footnote-28)

"الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح القدس."

ويوجد نص جميل **للقديس أثناسيوس** يوضح كيفية منح الحياة من الله للخليقة قاله فى حديثه عن ألوهية الروح القدس:

“It is clear that the Spirit is not a creature, but takes place in the act of creation. For **the Father creates all things through the Word in the Spirit**; for where the Word is, there is the Spirit also, and the things which are created through the Word have their vital strength out of the Spirit from the Word. Thus it is written in the thirty-second Psalm: “By the Word of the Lord the heavens were established, and by the spirit of His mouth is all their power.”[[29]](#footnote-29)

"من الواضح أن الروح (القدس) ليس مخلوقًا، ولكنه يشترك (له دوره) فى عملية الخلق. لأن الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح (القدس)؛ لأنه حيثما يوجد الكلمة، فهناك الروح أيضًا، والأشياء التى خلقت من خلال الكلمة تأخذ قوتها الحيوية (خارجة) من الروح من الكلمة. لذلك كُتب فى المزمور الثانى والثلاثون "بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل قواتها".

**الحب الأزلى المتبادل بين الأقانيم الثلاثة هو صفة للجوهر الإلهى، فالحب هو فى صميم حقيقة الجوهر الإلهى لأن الله محبة.**

**عن هذا الحب الأزلى بين الأقانيم كتب القديس يوحنا الحبيب الإنجيلى ما يلى:**

* "**اَلآبُ يُحِبُّ الاِبْنَ** وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ" (يو3: 35).
* "لأَنَّ **الآبَ يُحِبُّ الاِبْنَ** وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ" (يو5: 20).
* "لِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ **كَمَا أَحْبَبْتَنِي**" (يو17: 23).
* "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي **لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ**" (يو17: 24)
* "عَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ **لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ** وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو17: 26)
* "الاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ **فِي حِضْنِ الآبِ** هُوَ خَبَّرَ" (يو1: 18)
* وعند نهر الأردن وعلى جبل التجلى كان صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً "هَذَا هُوَ **ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ**" (مت 3: 17 و17 : 5).
* "الَّذِي انْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا إلَى مَلَكُوتِ **ابْنِ مَحَبَّتِهِ**" (كو1: 13).

وقد **تغنى القديس أثناسيوس** **الرسولى** عن هذه العلاقة الأزلية بين الآب والابن بقوله:

“And subsistence existing, of course there was forthwith its Expression and Image; for God’s image is not delineated from without, but God Himself hath begotten it; **in which... He has delight, as the Son Himself says, “I was His delight**”. When then did the Father.. not delight, that a man could dare to say, ‘the image is out of nothing’, and ‘The Father had not delight before the image was originated’.”[[30]](#footnote-30)

"والجوهر كائن، وطبعًا كان منه تعبيره وصورته، لأن صورة الله ليس من خارج، لكن الله نفسه ولده، **وبه.. يسر، كما قال الابن نفسه "كنت سروره". متى لم يكن للآب سرور،** حتى يقدر إنسان أن يتجاسر ويقول أن "الصورة هو من لا شيء"، وأن "الآب لم يسر قبل ولادة الصورة".

أما عن كون **الابن** **فى حضن الآب** منذ الأزل فكتب **القديس أثناسيوس** ما يلى:

“For He is ever with the Father, for He is in the bosom of the Father, nor was ever the bosom of the Father void of the deity of the Son.”[[31]](#footnote-31)

"لأنه دومًا فى الآب، فهو فى حضن الآب، وحضن الآب لم يخلو أبدًا من ألوهية الابن."

وكتب **القديس أمبروسيوس**:

“The Bosom of the Father”, then, is to be understood in a spiritual sense, as a kind of innermost dwelling of **the father’s love and of his nature in which the Son always dwells**. Even so, the Father’s womb is the spiritual womb of an inner sanctuary from which the Son has proceeded just as from a generative womb.”[[32]](#footnote-32)

"حضن الآب"، إذن، يجب أن يفهم بطريقة روحية، على أنه نوع من السكنى الأعمق الخاصة **بحب الآب وبطبيعته والتى فيها يسكن الابن دائمًا**. حتى أيضًا بطن الآب هو بطن روحى يخص هيكل داخلى يخرج منه الابن كما من بطن ولود."

**صفات الله الجوهرية ومنها الحب غير مرتبطة بوجود الخليقة:**

**إن حب الابن للآب أو حب الآب للابن غير مرتبط بالخليقة لأن الحب هو صفة جوهرية فى الله "لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ" (1يو4: 8) وصفات الله الجوهرية كالحب والحياة والحكمة غير مرتبطة بالخليقة.**

**وقال السيد المسيح عن الحياة الإلهية: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ" (يو5: 26).**

وقد أكد **القديس أثناسيوس** الرسولى على ذلك فى تفسير لعبارة "كل ما للآب هو لى" (يو16: 15).

“For if Creation is meant, the Father had nothing before creation, and proves to have received something additional from Creation; but far be it to think this. For just as He exists before creation, so **before creation also He has what He has**, which we also believe to belong to the Son (John 16:15).”[[33]](#footnote-33)

"لأنه إن كان المقصود هو الخليقة، فالآب لم يكن يملك شيئًا قبل الخليقة، ويثبت أنه تقبل شيئًا إضافيًا بالخليقة؛ لكن ليبعد هذا الفكر. لأنه كما أنه كائن قبل الخليقة، هكذا **قبل الخليقة كان له ما له** وهو ما نعتقد أن الابن أيضًا يملكه (يو 16: 15)."

**الابن يرى الآب ويعرفه:**

كتب **القديس يوحنا الإنجيلى** أن الابن يرى الآب:

"لَيْسَ أَنَّ أَحَدًا رَأَى الآبَ إِلاَّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ. **هَذَا قَدْ رَأَى الآبَ"** (يو6: 46)

"الآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ وَلاَ **أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ**" (يو5: 37)

كتب **القديس كيرلس الكبير** فى تفسيره لعبارة "هذا قد رأى الآب" فى إنجيل يوحنا:

“For the Divine and incomprehensible Nature hath retired and is withdrawn not from our eyes only, but also from those of the whole creation: for in the word *No one*, he comprehendeth all things, and in declaring that He Alone is *of God*, and *hath seen the Father*, He putteth Himself outside of all, whereof the ‘*no one’* may be understood declarative. **But since He is apart from all, and while none hath seen the Father,** **He Alone misseth not the seeing Him**, how shall He not henceforth be conceived of, not among all, as one of them, but external to all, as above all?...**He Alone seeth the Father** **because He is of God**: deeming aright we shall understand the words *of God*, to be of the Essence of the Father, in respect of Him Alone… of the Son, on another and truer sense will His being *of God*, be demonstrated, as being of Him by Nature. Wherefore He, not numbered among the all, but being external to all, and above all with the Father, will not share the infirmity of all, in that He is excepted from affinity with them, but mounting up unto the Nature of Him that begat Him, **will surely see Him from Whom He is**.

But how or in what manner, either He beholds the Father, or is seen of the Father, it pertains not to our tongue to say: we must nevertheless conceive of it in a God-befitting manner.”[[34]](#footnote-34)

"لأن الطبيعة الإلهية وغير المدركة قد انحجبت وانسحبت ليس عن أعيننا فقط، ولكن عن أعين كل الخليقة: لأنه فى عبارة "ليس أحدًا" هو يتضمن كل الأشياء، وفى إعلانه أنه هو وحده من الله وأنه رأى الآب، يضع نفسه خارج الكل، بينما "ليس أحدًا" قد تفهم بمعنى إعلانى. **لكن حيث أنه مستقل عن الكل، وبينما لم ير أحد الآب، وهو وحده لا تفوته رؤيته،** فكيف لا يدركه بعد، ليس ضمن الكل، كواحد منهم، لكن خارجًا عنهم، بل وفوقهم؟.. **هو وحده يرى الآب لأنه هو من الله**: وعن حق نفهم عبارة "من الله" بمعنى من جوهر الآب، فيما يخصه هو وحده.. عن الابن بمعنى آخر وأصدق فإن كونه "من الله" يبين أنه منه بحسب الطبيعة. وهكذا، لكونه غير معدود ضمن الكل، لكن خارجًا عن الكل، وفوق الكل مع الآب، فهو لا يشترك فى نقائص الكل فى أنه يستثنى عن المشابهة بهم، لكن لكونه مرتفعًا إلى طبيعة من ولده فهو **سوف يراه بلا شك الذى هو منه**.

**لكن كيف وبأى طريقة، يرى (الابن) الآب أو يُرى من الآب، لا يستطيع اللسان أن يعبّر: ومع ذلك يجب علينا أن ندرك ذلك بطريقة إلهية".**

وفى شرحه لعبارة "الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله" كتب **القديس كيرلس** **الكبير** ضمن ما كتب أن **الآب يرى فى الابن خواصه الطبيعية** ثم قال:

“And **God the Father seeth the Son in Himself, the Son again seeth the Father in Himself**. Therefore he saith, *I am in the Father and, the Father in Me*, But, “to see” and “to be seen” must here be conceive of after a Divine sort.”[[35]](#footnote-35)

"**والله الآب يرى الابن فى نفسه، وأيضًا الابن يرى الآب فى نفسه**. لذلك قال: "أنا فى أبى وأبى فىّ". **لكن أن يرى وأن يُرى لابد أن يكون تصورها هنا بطريقة لاهوتية".**

**والقديس يوحنا ذهبى الفم يقول**

“But what God really is, not only have not the prophets seen, but not even angels nor archangels. If you ask them, you shall not hear them answering anything concerning His Essence, but sending up, “Glory to God in the Highest, on earth peace, good will towards men.” (Luke 2:14) If you desire to learn something from Cherubim or Seraphim, you shall hear the mystic song of His Holiness, and that “heaven and earth are full of His glory.” (Isaiah 6:3) If you inquire of the higher powers, you shall but find that their one work is the praise of God. “Praise ye Him,” saith David, “all His hosts.” (Psalm 148:2) **But the Son only Beholds Him, and the Holy Ghost**. How can any created nature even see the Uncreated?”

“As then many have seen Him in the mode of vision permitted to them, but no one has beheld His Essence, so many of us know God, but **what His substance can be none knoweth, save only He that was begotten of Him**.”

“For he that merely “seeth” hath not an in every way exact knowledge of the object, but **he that “dwelleth in the bosom” can be ignorant of nothing**.”[[36]](#footnote-36)

"لكن ما هو الله فى الحقيقة، هذا لم يره الأنبياء ولا حتى الملائكة ولا رؤساء الملائكة. إن سألتهم سوف لا تسمعهم يجيبون بأى شيء يخص جوهره، إنما يرفعون "المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة" (لو2: 14). إن كنت تريد أن تتعلم شيئًا من الشاروبيم أو السيرافيم سوف تسمع أغنيتهم الخفية عن قداسته أن "السماء والأرض مملوءتان من مجده" (إش6: 3). وإن سألت القوات العليا سوف تجد أن عملهم الوحيد هو تمجيد الله. "سبحوه" قال داود "يا جميع جنوده" (مز148: 2). **أما الابن فهو وحده يراه وأيضًا الروح القدس**. كيف يمكن لأى مخلوق أن يرى غير المخلوق؟"

"كما أن كثيرون رأوه فى حالة رؤيا مسموح لهم بها، **لكن لم يرَ أحد جوهره، كثيرين منا يعرفون الله، لكن لا يعلم أحد جوهره إلا المولود منه**.

لأن من يرى ليس له المعرفة الدقيقة عن الهدف **أما من هو فى حضنه فلا يجهل شيئًا**.".

**وكتب كيرلس الأورشليمى**

What then, some man will say, is it not written, *The little ones’ Angels do always behold the face of My Father which is in heaven*? Yes, but the Angels see God not as He is, but as far as they themselves are capable. For it is Jesus Himself who saith, *Not that any man hath seen the Father, save He which is of God, He hath seen the Father*. The Angels therefore behold as much as they can bear, and Archangels as much as they are able; and Thrones and Dominions more than the former, but yet less than His worthiness: for with the Son the Holy Ghost alone can rightly behold Him: for He *searcheth all things, and knoweth even the deep things of God*: as indeed the Only-begotten Son also, with the Holy Ghost, knoweth the Father fully: For *neither*, saith He, *knoweth any man the Father, save the Son, and he to whom the Son will reveal Him*. For He fully beholdeth, and, according as each can bear, revealeth God through the Spirit.”[[37]](#footnote-37)

"ماذا إذن، سوف يقول البعض، أليس مكتوبًا عن الصغار أن "ملائكتهم ينظرون وجه الله فى السماء"؟ نعم، لكن الملائكة يرون الله ليس كما يراه هو (الابن)، إنما كيفما يحتملون هم أنفسهم. لأن يسوع نفسه قال: "ليس أحدًا رأى الآب إلا الذى من الله، هذا قد رأى الآب". الملائكة إذن يرون قدرما يحتملون، ورؤساء الملائكة قدرما يستطيعون: والعروش والقوات أكثر منهم لكن أقل من جدارته هو: **فالابن والروح القدس فقط هما اللذان يستطيعان أن يريانه**: **لأن الروح يبحث كل شيء ويعرف أعماق الله: وكذلك الابن الوحيد أيضًا، مع الروح القدس، يعرف الآب بالكمال:** وهو يقول "ليس أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له. لأنه يرى بالكمال، ويعلن الله بواسطة الروح القدس بحسب القدر الذى يحتمله كل أحد."

ويقول **القديس أثناسيوس الرسولى** عن الأريوسيين

“Rash they are indeed, and self-willed, not trembling to form opinions of things which angels desire to look into (1 Peter 1:12), who are so far above them, both in nature and in rank. For what is nearer [God] than the Cherubim or the Seraphim? And yet they, not even seeing Him, nor standing on their feet, nor even with bare, but as it were with veiled faces, offer their praises.”[[38]](#footnote-38)

"إنهم متهورون حقًا، ويتبعون رغباتهم الشخصية، ولا يخافون من تكوين آراء عن أمور تشتهى الملائكة أن تراها (1بط 1: 12)، وهى أسمى منها كثيرًا، فى الطبيعة المرتبة. لأنه ماذا يوجد أقرب إلى الله من الشاروبيم والسيرافيم؟ **ومع ذلك فإنهم لا يرونه**، ولا يقفون بأرجلهم، ولا حتى وهم حفاة الأقدام، إنما بوجوه مغطاة يقدمون تماجيدهم".

**التدبير الثالثوى:**

**الإيكونوميا (التدبير) تبين أن هناك نوع من المداولة بين الأقانيم إن صح التعبير. فيقول الكتاب:**

"وَقَالَ اللهُ: "**نَعْمَلُ** الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (تك1: 26).

"هَلُمَّ **نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ** هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ" (تك11: 7).

والمعروف أن الجمع للتفخيم غير وارد فى اللغة العبرية كما هو الحال فى العربية، وبالتالى يكون الجمع هنا عددى.

ومن المعروف لاهوتيًا أن **تدبير الخلاص هو تدبير ثالوثى**، أى باتفاق أقانيم الثالوث. فنحن نرنم فى تسبحة نصف الليل فى ثيئوطوكية يوم الثلاثاء قائلين:

**"لأنه بإرادته ومسرة أبيه والروح القدس أتى وخلصنا".**

وكتب فى المزمور:

"أَمَّا **مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ** فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ. أَفْكَارُ قَلْبِهِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ" (مز33: 11).

**وكتب** **القديس أثناسيوس الرسولى**:

“The Son is not a work, but in Essence indeed the Father’s offspring, **while in the Economy, according to the good pleasures of the Father**, He was on our behalf made, and consists as man.”[[39]](#footnote-39)

"**الابن ليس مصنوعًا، بل فى الجوهر هو بالفعل ابن الآب، بينما فى التدبير حسب مسرة الآب الصالحة، صنع من أجلنا وتكّون كإنسان**".

**الابن يقدّم طاعة للآب بحسب ناسوته:**

لقد **قدّم الابن طاعة كاملة للآب** وفى ذلك كتب معلمنا بولس الرسول:

"**مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ** مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب5: 8) أى مع كونه ابنًا بالطبيعة أى له نفس طبيعة الآب "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فى 2: 6-8). أى أنه تعلّم أى مارس الطاعة حينما تجسد مما تألم به مطوّعًا طبيعتنا فى شخصه للإرادة الإلهية.

هذه الطاعة لم يقدّمها الإنسان يسوع المسيح كما يدّعى النساطرة لكن قدّمها أقنوم الابن نفسه **بحسب ناسوته للآب**. وبها قدّم نفسه ذبيحة للآب عن خلاص جنسنا.

وتتغنى الكنيسة باللحن الرائع "فاى إيتاف إنف" فى ألحان يوم الجمعة العظيمة "هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة".

ونفس هذه العبارة نرددها فى التسبحة الليلية فى ثيئوطوكية الأحد من كل أسبوع.

**الابن يرى الآب، ويعرف الآب، ويتحدث مع الآب، ويتداول معه فيما يخص تدبير الخلاص للبشر، وله حرية إرادة بحسب التدبير الثالوثى فى أن يخلى نفسه ويأخذ صورة العبد، وفى أن يقدّم ذبيحته للآب.**

**ونحن نقول فى التسبحة "لأنه بإرادته ومسرة أبيه والروح القدس أتى وخلصنا" (ثيئوطوكية الثلاثاء) أى أن الخلاص هو بإرادة ثالوثية.**

**الحب بين الأقانيم هو متبادل ويتحقق بين الآب والابن، وبين الابن والروح القدس، وبين الروح القدس والآب. أى من الآب إلى الابن إلى الروح القدس إلى الآب ومن الروح القدس إلى الابن إلى الآب إلى الروح القدس.**

**حتى فى علاقة الله مع الخليقة الحب هو من الآب بالابن فى الروح القدس. ومحبة الخليقة هى فى الروح القدس بالابن إلى الآب. وذلك حينما تستجيب الخليقة لمحبة الله التى يسكبها فيها الروح القدس. ولكن محبة الخليقة لله لا تتساوى مع محبة الله للخليقة.**

**ولكن المحبة بين الأقانيم الثلاثة متساوية ويوجد إتزان ديناميكى فى الثالوث. مع ملاحظة أن الجوهر الإلهى لا يمكن أن يوصف بأنه فى حالة جمود إستاتيكى كما تصور نسطوريوس فى وصف رفضه لاتحاد الجوهر الإلهى بالجوهر البشرى فى المسيح معتبرًا أن الناسوت سيجزئ اللاهوت إذا اتحد به.**

**فقد كتب نسطور فى الحرم الثانى من الإثنى عشر حرمًا المضادة لحروم القديس كيرلس ما يلى:**

**"*إذا أكد أحد أنه، فى اتحاد اللوغوس مع الجسد، تحرك الجوهر الإلهى من مكان لآخر؛ أو قال أن الجسد قابل لإستقبال الطبيعة الإلهية، وأنها اتحدت جزئيًا مع الجسد؛ أو نسب للجسد، بسبب قبوله لله، إمتدادًا نحو اللانهائى والغير محدود، ويقول أن الله والإنسان لهما نفس الطبيعة الواحدة، فليكن محرومًا*."**

**ولادة الابن ليست حدثًا بل هى حقيقة وحالة مستمرة**

**إنبثاق الروح القدس ليس حدثًا بل هو حقيقة وحالة مستمرة**

**قال القديس غريغوريوس النزينزى:**

“Neither did the Father cease to be Unbegotten because of His begetting something, nor the Son to be begotten because He is of the Unbegotten (how could that be?), nor is the Spirit changed into Father or Son because He proceeds.”[[40]](#footnote-40)

"لم يتوقف الآب عن كونه غير مولود لأنه يلد شيئًا، ولا الابن عن كونه مولود لأنه هو من غير المولود (كيف يكون هذا؟) ولا الروح القدس تغير إلى آب أو ابن لأنه ينبثق."

**يقول** **القديس أثناسيوس** مشبهًا استمرار ولادة الابن من الآب كتدفق النهر من الينبوع:

“But just as a river, produced from a well, is not separate, and yet there are in fact two visible objects and two names. For neither is the Father the Son, nor the Son the Father. For the Father is Father of the Son, and the Son, Son of the Father. For like as the well is not a river, nor the river a well, but **both are one and the same water which is conveyed in a channel from the well to the river**, **so the Father’s deity passes into the Son without flow and without division**. For the Lord says, ‘I came out from the Father and am come’ (John 16:28). But He is ever with the Father, for He is in the bosom of the Father, nor was ever the bosom of the Father void of the deity of the Son.”[[41]](#footnote-41)

"ولكن كما أن النهر الخارج من الينبوع لا ينفصل عنه، وبالرغم من ذلك فإن هناك بالفعل شيئين مرئيين وإسمين. لأن الآب ليس هو الابن، كما أن الابن ليس هو الآب، فالآب هو أب الابن، والابن هو ابن الآب. وكما أن الينبوع ليس هو النهر، والنهر ليس هو الينبوع، ولكن لكليهما **نفس الماء الواحد الذى يسرى فى مجرى من الينبوع إلى النهر، وهكذا فإن لاهوت الآب ينتقل فى الابن بلا تدفق أو انقسام.** لأن السيد المسيح يقول: "خرجت من الآب" وأتيتُ من عند الآب. ولكنه دائمًا أبدًا مع الآب، وهو فى حضن الآب. وحضن الآب لا يَخْلُ أبدًا من الابن بحسب ألوهيته."

**مفاهيم عن التجسد الإلهى والإفخارستيا**

إن من يتبعون هذه الآراء اللاهوتية من الأرثوذكس الخلقيدونيين لا يؤمنون باتحاد الجوهر الإلهى بالجوهر البشرى فى التجسد الإلهى. فقال كاتب *"التأله هدف حياة الإنسان":*

**"إن قدرات الله هى قدرات إلهية، إن هذه القدرات هى الله بدون أن تكون جوهره."[[42]](#footnote-42)**

وقال أيضًا:

"لو أن الله له فقط جوهر **لا يمكن الاقتراب منه** دون أن يكون له قدرات لبقى الله وحده منغلقًا على ذاته وليس له أية علاقة مع خلائقة."[[43]](#footnote-43)

وختم كتابه بقوله:

"الله يريد ويرغب فى أن نتأله ولهذا السبب أصبح إنسانًا ومات على الصليب حتى يشع كشمس بين الشموس وكإله بين الآلهة."[[44]](#footnote-44)

**وقد اكتشفت أن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى تجسد الكلمة عند بعض الروم الأرثوذكس هو kat’ evne,rgeian (كاتا انرجيان) وليس**kata fu,sin **(كاتا فيزين) أى أنه اتحاد "بحسب الطاقة" وليس "بحسب الطبيعة".**

**وناسوت المسيح عندهم تألّه بالطاقة وليس بإتحاد بين جوهر اللاهوت وجوهر الناسوت، أو بإتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية.**

ولذلك فإن البروفسور "**فلاسيوس فيداس**" فى دمشق أثناء إجتماع لجنة الحوار الليتورجي مع الروم الأرثوذكس قال لى إن أحدًا عندهم لن يوافق على "الاتحاد الطبيعى" e[nwsij fusikh, أو e[nwsij kata fu,sin أى natural union. والبروفسور فيداس هذا هو صديق لنا وأستاذ فى جامعة أثينا، وقد درّس طلابنا هناك فى كلية اللاهوت، وكان قد وقّع على الاتفاقية اللاهوتية بيننا وبين الروم الأرثوذكس، والتى تنص على "**الاتحاد الطبيعى**" بين اللاهوت والناسوت فى التجسد، وذلك فى مصر فى دير الأنبا بيشوى عام 1989، وفى شامبيزيه فى جنيف عام 1990، ولكنه عاد فى حوالى عام 1994 فى دمشق وقال إن أحدًا لن يوافق على "**الاتحاد الطبيعى**". قلت فى نفسى ماذا يعنى الاتحاد بين الطبيعتين إذن؟! هل لم يكن هناك اتحادًا؟ ألا يكفيهم التشدد أمام تعبير *الطبيعة الواحدة*؟ **ولاحظت أن ثلاث كنائس فقط من الروم الأرثوذكس** للأسف من ضمن خمس عشر كنيسة هى التى قبلت نص الاتفاق الكريستولوجى من وقتها وحتى الآن وهى كنائس الإسكندرية وأنطاكيا ورومانيا وهى مضطرة أن تنتظر قبول باقى كنائس عائلتها، والإثنى عشر كنيسة التى لم تقبل الاتفاق حتى الآن فى مقدمتها كنيسة روسيا وكنيسة اليونان وأديرة رهبان جبل آثوس. وظللت أفكر فى الأمر **إلى أن قرأت فى سنة 2010م فى هذا الكتاب لكبير لاهوتيى جبل آثوس الأب جورجيوس كابسانيس** ترجمة **الأب إبراهيم دبور** الكاهن المعروف لدينا من طائفة الروم الأرثوذكس فى الأردن ما يُفهم منه **أن الاتحاد فى تجسد الكلمة هو بحسب الطاقة وليس اتحاداً جوهرياً ولا طبيعياً**. ولكى يصل لهذه النتيجة قال **أن الطاقة هى الله، والله ليس الجوهر فقط**. أى أن الجوهر هو الله غير المقترب منه والطاقة هى الله الذى يمكن الاتحاد به فقال "**نحن نتحد مع الله بواسطة قدراته غير المخلوقة وليس فى جوهره**"[[45]](#footnote-45).

وللأسف فإن **كتاب "الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور" تأليف الأب أنتونى م. كونياريس وترجمة الراهب يوئيل المقارى** قد أورد مفهوم أن التجسد الإلهى هو مثل إتحاد المؤمنين بالطاقة الإلهية وليس بالجوهر الإلهى بما نصه:

**"إن الكلمة الذى صار جسدًا فى يسوع، هو نفسه يجب أن يصير جسدًا فينا، يجب أن يتكرر الاتحاد بين ما هو بشرى وما هى إلهى فى حياة كل مؤمن، بطريقة سرية.. أنا وأنت كأولاد وبنات الله ننال قوة، لنصير إمتدادًا للتجسد... لنكون فى هذا العالم مسيحًا على الأرض، إمتدادًا لتجسده... الكلمة الذى صار متجسدًا فى بولس بطريقة سرية، يستطيع أن يتجسد أيضًا فينا بنفس الطريقة."[[46]](#footnote-46)**

**النص الأصلى من نفس كتاب كونياريس باللغة الإنجليزية:**

“The same Word who became flesh in Jesus, must become flesh in us. In a mysterious way the union of the human and the divine can be repeated in the life of every believer… You and I as sons and daughters of God receive power to become extensions of the incarnation... We may become in this world other Christs, extensions of His incarnation.. The Word who became flesh in Paul can become flesh in us[[47]](#footnote-47).” **[[48]](#footnote-48)**

**وقد أدان المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى جلسته بتاريخ 27 مايو 2007م برئاسة مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث هذا النص فى فاتحة النصوص التى أوردتها لجنة الإيمان والتعليم والتشريع فى تقريرها للمجمع المقدس بشأن خطورة التعليم فى هذا الكتاب وقرر المجمع المقدس الإعلان عن هذه الأخطاء.**

وإذا تكلمنا عن التجسد الإلهى فلابد أن نتذكر الإعلان عن حقيقته فى العليقة المشتعلة بالنار وهى لا تحترق حينما ظهر الابن الوحيد الجنس لموسى عند جبل سيناء "وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ... ثُمَّ قَالَ: أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ" (خر3: 2، 6).

**حتى فى تعريف مجمع خلقيدونية الذى يقرونه كتب**:

“Our Lord Jesus Christ, is perfect God and perfect man. As God, he is consubstantial with God the Father; and as man the same is consubstantial with us. He is unlike us only in that He is absolutely without sin.”[[49]](#footnote-49)

"ربنا يسوع المسيح إله كامل وإنسان كامل. كإله هو مساوى لله الآب وكإنسان مساوى لنا. هو لا يشبهنا فى شيء واحد وهو أنه بلا خطية مطلقًا."

وكتب **القديس كيرلس الكبير:**

“The same one is consubstantial with the Father according to his divinity and consubstantial with us according to his humanity.” [[50]](#footnote-50)

"هو نفسه مساو للآب من حيث لاهوته ومساو لنا من حيث ناسوته".

ومعروف أن الناسوت مكوّن من جوهرين وطبيعتين؛ وهى الجسد الإنسانى والروح الإنسانى ويكونان معًا طبيعة بشرية واحدة وجوهر بشرى واحد والسيد المسيح هو مساو لنا فى الجوهر من حيث ناسوته بلا خطية فالاتحاد الطبيعى يقود حتمًا إلى الاتحاد الجوهرى.

ثم أن مفهوم التجسد كما شرحه الآباء وعلى رأسهم القديس كيرلس الكبير عمود الدين هو اتحاد طبيعة إلهية بطبيعة بشرية بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير ولا انفصال ونتج عن ذلك "**طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة**". وكثيرًا ما أكد القديس كيرلس على **الاتحاد الطبيعى والأقنومى** بين الطبيعتين فى المسيح شارحًا باستفاضة سر التجسد الإلهى.

**فيقول القديس كيرلس** فى رسالته الثالثة إلى نسطور (الفقرة 9):

“Neither do we say that the Word of God dwelled, as in an ordinary man, in the one born of the Holy Virgin, in order that Christ might not be thought to be a man bearing God. For even if the Word both “dwelt among us,”(Jn 1:14) and it is said that in Christ “dwells all the fullness of the Godhead bodily,”(Col 2:9) we do not think that, being made flesh, the Word is said to dwell in him just as in those who are holy, and we do not define the indwelling in him to be the same. But **united *kata phusin****,* and not changed into flesh, the Word produced an indwelling such as the soul of man might be said to have in its own body.”[[51]](#footnote-51)

"ولسنا نقول أن كلمة الله حل فى ذلك المولود من العذراء القديسة، **كما فى إنسان عادى**، لكى لا يُفهم أن المسيح هو "إنسان يحمل الله". لأنه حتى إن كان "الكلمة حل بيننا" فإنه أيضًا قد قيل إن فى المسيح "**يحل كل ملء اللاهوت جسديًا**" (كو 2: 9). لذلك إذن نحن ندرك أنه إذ صار جسدًا **فلا يقال عن حلوله إنه مثل الحلول فى القديسين**، **ولا نحدد الحلول فيه أنه يتساوى وبنفس الطريقة كالحلول فى القديسين**. ولكن الكلمة إذ **اتحد "حسب الطبيعة"** (**kata fu,sin**) ولم يتغيّر إلى جسد، فإنه حقق حلولاً مثلما يقال عن حلول نفس الإنسان فى جسدها الخاص."

ومن المفهوم طبعًا أن حلول نفس الإنسان فى جسدها الخاص يحقق تكوين جوهر بشرى واحد من جوهرين وطبيعة بشرية واحدة من طبيعتين.

وفى (الفقرة 10) من نفس الرسالة يقول:

“The Word of God united, as we already said before, to flesh **according to *hupostasis*** is God of all and is Lord of all, and neither is he servant of himself nor master of himself.”[[52]](#footnote-52)

"وكما قلنا سابقًا، فإن كلمة الله قد اتحد بالجسد أقنوميًا (**kaq' u`po,stasion**)، فهو إله الكل ورب الجميع، وليس هو عبد لنفسه ولا سيد لنفسه."

**وكتب القديس كيرلس الكبير** فى رسالته (رقم 40) إلى أكاكيوس أسقف ميليتين فى الفقرة (14) ما يلى:

“Wherefore, we say that the **two natures were united**, from which there is the one and only Son and Lord, Jesus Christ, as we accept in our thoughts; but after the union since the distinction into two is now done away with, we believe that, there is **one *phusis***of **the Son, as one, however, one who became man and was made flesh**.”[[53]](#footnote-53)

"ولذلك نقول أن الطبيعتين إتحدتا، ومنهما نتج إبن ورب واحد يسوع المسيح، كما نقبل فى أفكارنا، لكن بعد الإتحاد، إذ قد زال الآن التفريق إلى إثنتين، **نؤمن أن هناك طبيعة واحدة للإبن كواحد، واحد تأنس وتجسد**".

وكتب **الشهيد كبريانوس**:

“Christ is both man and God, **compounded of both natures**, so that He could be a Mediator between us and the Father. In Jermiah: “And he is man, and who will know him?” Also, in Numbers: “A star will arise out of Jacob and a man will rise up from Israel.”[[54]](#footnote-54)

"المسيح هو إنسان وإله، **مركب من الطبيعتين**، حتى يمكنه أن يكون وسيط بيننا وبين الآب. فى إرميا يقول: "هو إنسان من سيعرفه" وأيضًا فى سفر العدد يقول "يبرز كوكب من يعقوب وإنسان من إسرائيل".

وفى رسالته لإفلوجيوس الكاهن (الرسالة 44) فقرة 2 كتب **القديس كيرلس الكبير** محاولاً توضيح مفهوم الاتحاد بين الطبيعتين ومثّله باتحاد الروح والجسد فى الإنسان لتكوين الطبيعة البشرية فقال:

“For we, when asserting their union, confess one Christ, one Son, the one and same Lord, and finally **we confess the one incarnate phusis of God**. It is possible to say something such as this about **any ordinary man, for he is of different natures, both of the body, I say, and of the soul**. Both reason and speculation know the difference, but when combined then we get one human phusis. Hence knowing the difference of the natures is not cutting the one Christ into two.”[[55]](#footnote-55)

"لأننا حينما نوحدهما نعترف بمسيح واحد وهو نفسه رب واحد، وإذن نحن نعترف بأن **طبيعة الابن المتجسدة واحدة**. من الممكن أن يقال مثل هذا الكلام عن **الإنسان بوجه عام، لأنه من طبيعتين مختلفتين أى من الجسد والنفس**. والفكر والتأمل يدركان هذا الاختلاف، ولكن حينما تتحد الطبيعتان فإننا نحصل على طبيعة واحدة للإنسان. ومن ثم ندرك أن اختلاف الطبيعتين لا يقسم المسيح الواحد إلى إثنين."

**طبعًا اتحاد الروح بالجسد فى الإنسان ليس "بحسب الطاقة" ولكن بحسب الجوهر والطبيعة لأنهما يكونان معًا طبيعة بشرية واحدة!!**

وفى **رسالته لسكسينسوس** (رسالة 45) فقرة 6 كتب:

“Accordingly when we assert the **union of the Word of God the Father to his holy body** which has a rational soul, a union which is ineffable and beyond thought and which took place without blending, without change, without alteration, we confess one Christ, Son and Lord, the Word of God the Father, the same God and man, not one and another, but one and the same, being, and known to be, God and man... While skillfully examining the manner of his dispensation with flesh and finely probing the mystery, we see that the **Word of God the Father was made man** and was made flesh and that he **has not fashioned that holy body from his divine nature** but rather took it from the Virgin Mary. Since how did he become man, if he has not possessed a body like ours? Considering, therefore, as I said, the manner of his Incarnation we see that **his two natures came together with each other in an indissoluble union, without blending and without change**, for his flesh is flesh and not divinity, even though his flesh became the flesh of God, and likewise the Word also is God and not flesh, even though he made the flesh his own according to the dispensation. Therefore, whenever we have these thoughts in no way do we harm **the joining into a unity by saying that he was of two natures**, but **after the union we do not separate the natures from one another**, nor do we cut the one and indivisible Son into two sons, but we say that there is one Son, and **as the holy Fathers have said, that there is one Phusis of the Word [of God] made flesh**.”[[56]](#footnote-56)

"وتبعًا لذلك، فحينما نؤكد إتحاد الكلمة الذى من الله الآب بجسده المقدس ذى النفس العاقلة، وهو اتحاد يفوق الإدراك ويعلو على الفكر، وقد حدث بدون إختلاط، وبدون تغيير، وبدون تحول، فنحن نعترف بمسيح واحد الابن والرب، كلمة الله الآب، هو نفسه إله وإنسان، ليس واحد وآخر، لكن واحد هو نفسه كائن ومعروف أنه إله وإنسان... فبينما نحن نبحث كيفية تدبيره بالجسد ونسبر أعماق السر، نرى أن **الكلمة الذى من الله الآب تأنس وتجسد وأنه لم يصنع ذلك الجسد المقدس من طبيعته الإلهية** بل بالحرى أخذه من العذراء مريم. لأنه كيف صار إنسانًا لو لم يكن قد لبس جسدًا مثل أجسادنا؟ لذلك فعندما نعتبر –كما قلت- كيفية تأنسه **نرى أن طبيعتين اجتمعتا إحداهما مع الأخرى فى اتحاد لا يقبل الانفصام، وبدون اختلاط وبدون تغيير،** لأن جسده هو جسد وليس لاهوتًا رغم أن جسده قد صار جسد الله. وبالمثل فالكلمة أيضًا هو الله وليس جسدًا، رغم أنه جعل الجسد خاصًا به بحسب التدبير. لذلك فحينما تكون لنا هذه الأفكار، فنحن عندما نقول إنه كان من طبيعتين فنحن لا نجرح الوحدة، ولكن بعد الاتحاد لا نفصل الطبيعتين إحداهما عن الأخرى، ولا نجزئ الابن الواحد غير المنقسم إلى ابنين، بل نقول بابن واحد. وكما قال الآباء "**طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة**".

وفى **رسالة ثانية لسكسينسوس** (رسالة 46) فقرة 6 كتب:

“The nature of the Word has not passed over into the nature of the flesh. Neither has the nature of the flesh passed over into the nature of the Word, **but remaining** and being **considered in the propriety according to the nature of each ineffably and inexplicably united**, in accordance with the reasoning just given by us, thishas shown forth for us the **one *phusis* of the Son; but, as I said, incarnate**.”[[57]](#footnote-57)

"طبيعة الكلمة لم تتحول إلى طبيعة الجسد. ولا طبيعة الجسد تحولت إلى طبيعة الكلمة، بل **كل منهما ظلت كما هى فى ذاتيتها بحسب طبيعة كل منهما، وتعتبران متحدتان** بطريقة تفوق الفهم والشرح، وقد ظهر لنا من هذا **طبيعة الابن الواحدة، ولكن –كما قلت- متجسدة**."

**الإفخارستيا**

نحن فى الإفخارستيا نتحد بالمسيح **بحسب الطاقة** لذلك يقول الكاهن فى الاعتراف الأخير فى القداس الإلهى "**حياة أبدية** لمن يتناول منه". فنحن فى الإفخارستيا نأخذ نعمة ولكننا لا نتحد بجوهر المسيح؛ لا بجوهر ناسوته ولا بجوهر لاهوته، وإنما نتحد بالنعمة طاقويًا أو بحسب الطاقة (كاتا انرجيان).

وفى هذا كتب **القديس إغناطيوس الثيئوفوروس**:

“I desire the bread of God, the heavenly bread, the bread of life-which is the flesh of Jesus Christ, the Son of God…. And I desire the drink of God, namely His blood, which is **incorruptible love and eternal life**.”[[58]](#footnote-58)

"أرغب فى خبز الله، الخبز السماوى، خبز الحياة الذى هو جسد يسوع المسيح ابن الله... وأرغب فى شراب الله أى دمه الذى هو **الحب غير القابل للفساد والحياة الأبدية**."

فالنعمة الممنوحة فى تناول الإفخارستيا هى الحب غير القابل للفساد والحياة الأبدية وهذه طبعًا طاقات.

وكتب **القديس كبريانوس**:

“He says that whoever will eat of His bread will live forever. So, it is clear that those who partake of His body and receive the Eucharist by the right of communion are living. On the other hand, we must fear and pray lest anyone who is separate from Christ’s body –being barred from communion- should remain at a distance from salvation. For He Himself warns and says, “unless you eat the flesh of the Son of man and drink His blood, you have no life in you.”[[59]](#footnote-59)

"هو يقول من يأكل الخبز الذى يعطيه **يحيا إلى الأبد**. وبذلك يتضح أن الذين يتناولون جسده ويأخذون الإفخارستيا بحق الشركة هم أحياء. ومن ناحية أخرى، لابد أن نخاف ونصلى لئلا أى ممن هم منفصلون عن جسد المسيح -لأنهم ممنوعون من التناول- يظلوا بعيدين عن الخلاص. لأنه هو نفسه يقول "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه ليس لكم حياة فيكم".

وعن أن غرض وهدف الإفخارستيا هو أن تكون الحصن والحمى

كتب **القديس كبريانوس**:

**“But may fortify them with the protection of Christ’s body and blood. For the Eucharist is appointed for this very purpose**.”[[60]](#footnote-60)

"**ويحصنهم بحماية جسد ودم المسيح لأن** **الإفخارستيا تعينت لهذا الغرض**."

**فإن كان هناك هدف غير ذلك لماذا لم يذكره الآباء؟؟!!**

وكتب **القديس إيرينيئوس**:

“But if ]the flesh[ indeed does not obtain salvation, then neither did the Lord redeem us with His blood, nor is the cup of the Eucharist the communion of His blood, nor the bread which we break the communion of His Body.”[[61]](#footnote-61)

"لأنه إن لم ينل الجسد الخلاص، فلا الرب خلصنا بدمه ولا كأس الإفخارستيا هى شركة دمه ولا الخبز الذى نكسره هو شركة جسده."

بعض الروم الأرثوذكس يقولون إننا **نتحد بناسوت المسيح المتألّه** فقط وهكذا نتحد بالله، لأن الطاقة هى الله. فيقول كاتب كتاب "التأله هدف حياة الإنسان" عن اتحادنا بالمسيح:

**"هذا الاتحاد ليس اتحادًا مع جوهر الله وإنما مع طبيعة المسيح الإنسانية المتألهة."[[62]](#footnote-62)**

**أولاً**: نفى الآباء القديسون معلمى الكنيسة أن يكون المسيح هو إنسان متأله وأكدوا أنه إله متأنس فقال القديس كيرلس الكبير:

“Thus is the faith and rightly. But if any say: What harm if a man like us be conceived of as laying hold on Godhead and not God rather be made man? We shall answer that there are a thousand things which may be brought to bear against this, and which all but tell us that we ought firmly to strive against it and not thus to believe”.[[63]](#footnote-63)

"هذا هو الإيمان الأرثوذكسى الصحيح. وإذا قال أحد: أى ضرر يحدث إذا اعتقدنا أن إنسانًا مثلنا قد حصل على الألوهة وليس الله هو الذى تجسد؟ سوف نجيب بأنه يوجد ألف دليل ضد هذا الرأى، وكل هذه الأدلة تؤكد لنا أنه علينا أن نجاهد بثبات ضد هذا الرأى وأن نرفضه. وقبل أى شيء آخر فلندرس التدبير الخاص بالتجسد ونفحص حالتنا جيدًا".

**ثانيًا: عن طبيعة اتحادنا بالمسيح فى سر الإفخارستيا كتب القديس كيرلس الكبير**:

“For the Son dwells in us in a corporeal sense as Man,.. united with us by the mystery of the Eucharist; and also in a spiritual sense as God, by the effectual working and grace of His own Spirit, building up our spirit into newness of life, and making us partakers of His Divine Nature.”[[64]](#footnote-64)

"الابن يسكن فينا بطريقة حسية كإنسان،.. يتحد بنا بواسطة سر الإفخارستيا؛ وأيضًا بطريقة روحية كإله **بواسطة عمله المؤثر ونعمة روحه القدوس**، يبنى أرواحنا إلى جدة الحياة ويجعلنا شركاء طبيعته الإلهية."

**ثالثًا:** ماذا عن الذى يتناول بدون استحقاق أو بعد التناول يرتكب جريمة قتل أو خطية زنا؟؟؟

كتب **القديس كبريانوس**:

“What a crime is theirs who rashly seize communion and touch the body and blood of the Lord… even though their foulness is not washed away by the laver of the church. For it is written, “Whoever eats the bread or drinks the cup of the Lord unworthily will be guilty of the body and blood of the Lord.”[[65]](#footnote-65)

"كم تعتبر جريمتهم أولئك الذين يتسرعون فى أخذ التناول ولمس جسد الرب ودمه... وإن لم تمحى جهالاتهم بواسطة جرن الكنيسة. لأنه مكتوب "من يأكل ويشرب من كأس الرب بدون استحقاق يصير مجرمًا فى جسد الرب ودمه."

**يقول مؤلف الكتاب الطبيعة البشرية فى حضن الثالوث**

وفى نفس كتاب "التأله هدف حياة الإنسان" ذكر المؤلف أن المسيح عندما اتحدنا به أصبحت طبيعتنا البشرية فى حضن الثالوث الأقدس فى السماء!! فكتب:

**"أصبحت الآن الطبيعة الإنسانية بواسطة الاتحاد الأقنومى للطبيعتين فى شخص المسيح هى متحدة كلية بالطبيعة الإلهية لأن المسيح أى الإبن أصبح الإله الإنسان وبحالته وهو إنسان صعد إلى السماء وبحالة الإنسان أيضًا جلس عن يمين الآب وبحالة الإنسان سيأتى فى المجئ الثانى. لذلك فإن الطبيعة البشرية الآن جالسة على عرش أحضان الثالوث الأقدس."[[66]](#footnote-66)**

الابن وهو الأقنوم الثانى المتجسد هو فى حضن الآب.. والابن قبل التجسد هو فى حضن الآب.. لكن كيف تكون الطبيعة البشرية فى حضن الثالوث؟!!

الابن هو الأقنوم الثانى المتجسد.. ما يذكر فى أقوالهم ينتج عنه فصل لاهوت المسيح عن ناسوته! لأن القول بأن الطبيعة البشرية هى فى حضن الثالوث يعنى أن ناسوت المسيح هو فى حضن لاهوته؛ وهذا يوصلنا إلى فكرة الاتصال conjoining الخاصة بنسطور. كما أن العبارة تعنى أن المسيح بناسوته هو فى حضن المسيح بلاهوته وكأن هناك مسيحين كما إعتقد نسطور بأن ابن الإنسان هو واحد؛ وابن الله هو آخر.

**نقطة أخرى هى أنه إن كان المقصود بكلمة "الإنسان" أو "الطبيعة البشرية" هم البشر فيجب أن نؤكد أن الاتحاد الأقنومى هو اتحاد طبيعتين فى شخص واحد مفرد وليس فى أشخاص كثيرين. ويجب أن نؤكد أيضًا أن اتحاد اللاهوت بالناسوت منذ اللحظة الأولى للتجسد جعل الجسد الذى أتخذه الله الكلمة خاصًا به جدًا[[67]](#footnote-67)، وهذا ما أكده القديس كيرلس الكبير عمود الدين. ولذلك سمى "وحيد الجنس" كما فى إنجيل القديس يوحنا الإنجيلى ومن بعده الآباء القديسين.**

**التمايز بين طبيعة الله الكلمة البشرية الخاصة وبين طبيعتنا**

**لقد تشخصنت طبيعته البشرية الخاصة فى شخص الابن الخاص، لذلك فإن القديس كيرلس الكبير يقول إن الله الكلمة له ميلادان: الأول هو ميلاد أزلى من الآب قبل كل الدهور بلا أم، والثانى ميلاد جسدى من العذراء مريم فى ملء الزمان بلا أب. وبسبب الإتحاد التام بين اللاهوت والناسوت فإن ما ينسب لجسده الخاص ينسب إليه. لذلك نقول إنه تجسد وتأنس وتألم وصلب وقام وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه.**

**وبسبب هذا الاتحاد الطبيعى والأقنومى الذى نتج عنه "طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة" كما قال القديس كيرلس الكبير، لذلك فإن طبيعة الكلمة المتجسد البشرية الخاصة ليست هى طبيعتنا الخاصة بل تتمايز عنها فى عدة أمور منها:**

1. **أنه بلا خطية**

هو بلا خطية، بلا ميل للخطية، وبلا إمكانية للخطية وهذا لا يحتاج إيضاح.

أما نحن فقيل فى صلوات الكنيسة }ليس أحدًا طاهرًا من دنس ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض{، وقال معلمنا بولس الرسول "الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (رو3: 12)".

1. **جسده لم يمرض**

يقول **القديس أثناسيوس** فى كتاب تجسد الكلمة الفصل الحادى والعشرون:

“But since He was, firstly, the Life and the Word of God, and it was necessary, secondly, for the death on behalf of all to be accomplished, for this cause, on the one hand, because He was life and power, the body gained strength in Him;

While on the other, as death must needs come to pass, He did not Himself take, but received at others’ hands, the occasion of perfecting His sacrifice. Since **it was not fit, either, that the Lord should fall sick, who healed the diseases of others; nor again was it right for that body to lose its strength, in which He gives strength to the weaknesses of others also**.

**Why, then, did He not prevent death, as He did sickness**? Because it was for this that He had the body, and it was unfitting to prevent it, lest the Resurrection also should be hindered, while yet **it was equally unfitting for sickness to precede His death**, lest it should be thought weakness on the part of Him that was in the body.”[[68]](#footnote-68)

"أما وأنه هو الحياة وكلمة الله، وكان من المحتم أن يتم الموت نيابة عن الجميع لهذا **ولأنه هو الحياة والقوة فقد نال الجسد منه قوة**.

هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى فما دام الموت لابد أن يتم فإنه لم يَسعَ بنفسه على الفرصة التى بها يتمم ذبيحته. **لأنه لم يكن لائقًا أن يمرض الرب وهو الذى يشفى أمراض الآخرين، ولم يكن لائقًا أيضًا أن يضعف ذلك الجسد الذى به قوى ضعفات الأخرين**.

**ولماذا إذن لم يمنع حدوث الموت كما منع المرض** **من أن يسيطر (على الجسد)**؟ ذلك لأنه لأجل هذا (الموت) اتخذ الجسد، ولم يكن لائقًا أن يمنع الموت لئلا تتعطل القيامة أيضًا. **ولم يكن لائقًا أن يسبق المرض موته** لئلا يُظن أن ذاك الذى كان فى الجسد كان ضعيفًا."

1. **جسده لن يفسد**

كتب **القديس أثناسيوس** أيضًا عن عدم إمكانية الفساد الطبيعى لجسده رغم أن الجسد من طبيعة مائتة فقال:

“But the Body itself being of mortal nature, beyond its own nature rose again by reason of the Word which was in it; and **it has ceased from natural corruption**, and having put on the Word which is above man, **has become incorruptible**”[[69]](#footnote-69)

"ولكن بما أن الجسد فى نفسه هو من طبيعة مائتة، فقد قام مرة أخرى بواسطة ما يفوق طبيعته الخاصة بسبب الكلمة الذى كان فيه؛ **وقُطع عن الفساد الطبيعى، وبلبسه الكلمة الذى هو فوق الإنسان، صار غير قابلاً للفساد**."

1. **جسده واهب حياة**

لأنه هو الله وهو الحياة بالطبيعة لذلك فإن جسده يهب حياة وفى ذلك كتب **القديس كيرلس** **الكبير:**

“When He raised the dead, the Saviour is found to have operated, not by word only, or God-befitting commands, but He laid a stress on employing His Holy Flesh as a sort of co-operator unto this, that He might shew that It had the power to give life, and was already made one with Him. For **it was in truth His Own Body, and** **not another’s**. and verily when He was raising the little daughter of the chief of the Synagogue saying, *Maid, arise*, He laid hold of her hand, as it is written, giving life through the touch of His Holy Flesh, He shews that there was **one kindred operation through both**. Yea and when He went into the city called Nain, and one was being carried out dead, the only son of his mother, again He touches the bier, saying, *Young man, to thee I say, Arise*. And not only to His Word gives He power to give life to the dead, but that He might shew that **His Own Body was life-giving** (as I have said already), He touches the dead, thereby also infusing life into those already decayed.”[[70]](#footnote-70)

"حينما أقام الموتى، نجد أن المخلص قد أتم، لا بالكلام فقط، أو بوصايا إلهية، بل قد شدد على استخدام جسده المقدس كشريك معه فى هذا العملsunergoj ، ليُظهر أن لجسده قوة إعطاء الحياة، وأنه (أى الجسد) قد صار بالفعل واحدًا معه. لأنه فى الحقيقة كان **جسده الخاص وليس جسد شخص آخر**. وفى الحقيقة حين أقام الصبية ابنة رئيس المجمع قائلاً: "يا صبية، قومى" (لو 8: 54) أمسك بيدها، كما هو مكتوب، معطيًا لها الحياة **إذ هو الله**، بأمره الكامل القدرة. ومرة أخرى إذ يهب حياة بلمسة جسده المقدس، فإنه يُظهر أن ثمة **عملاً واحدًا متجانسًا يتم بكليهما معًا**. أجل، وحين توجّه إلى مدينة تدعى نايين، وكان ميت محمول ابن وحيد لأمه فإنه مرة أخرى لمس النعش قائلاً "أيها الشاب لك أقول قم" (لو 7: 12، 14). وهو لم يعط بكلمته فقط القوة على إعطاء حياة للميت، بل ولكى يُظهر أن **جسده الخاص كان واهبًا للحياة** (كما قلت توا)، فإنه يلمس الميت مانحًا حياة للذى تحلل فعلاً."

1. **موته هو وحده يعد مساويًا لحياة الجميع**

القديس كيرلس الكبير فى الفقرة التالية إلى جانب أنه يشرح فكرة موت السيد المسيح الذى كان مساويًا لموت الجميع، أى جميع من افتداهم، ولكنه من جانب آخر قد أوضح أن تجسد الكلمة وصيرورته إنسانًا لم ينتج عنه إلغاء الفارق بين الكلمة المتجسد والبشر المؤمنين به حتى القديسين منهم. فهو يقول عن موت السيد المسيح أنه "ليس موت إنسان مثلنا" وذلك لأنه "هو وحده".. "إله بالطبيعة" وذلك حتى بالرغم من أنه صار مثلنا من حيث أنه قد تأنس.

“But how is it that “*one died for all*,” (2 Cor 5.14) one who is worth all others, if the suffering is considered simply that of some man? If he suffered according to his human nature, since he made the sufferings of his body his own, then, indeed, we say, and very rightly, that **the death of him alone according to the flesh is known to be worth the life of all, not the death of one who is as we are, even though he became like unto us, but we say that he, being God by nature**, became flesh and was made man according to the confession of the Fathers.”[[71]](#footnote-71)

"لكن كيف يكون "واحد قد مات لأجل الجميع" (2كو 5: 14 ) ، واحد مساو للجميع كلهم، إذا اعتبرنا ببساطة أن الألم خاص بإنسان ما؟ وإذ تألم بحسب طبيعته الناسوتية، لإنه جعل آلام جسده آلامه هو، لذا نقول، وبصواب تام، أن **موته هو وحده، بحسب الجسد، يُعد مُساويًا لحياة الجميع، فهو ليس موت إنسان مثلنا، حتى بالرغم من أنه صار مثلنا**، بل نقول إنه -**لكونه إله بالطبيعة**- تجسد وتأنس بحسب اعتراف الآباء."

1. **هو وحده رأى الآب**

كتب **القديس كيرلس الكبير** فى تفسيره لعبارة "هذا قد رأى الآب" فى إنجيل يوحنا:

“For the Divine and incomprehensible Nature hath retired and is withdrawn not from our eyes only, but also from those of the whole creation: for in the word *No one*, he comprehendeth all things, and in declaring that He Alone is *of God*, and *hath seen the Father*, He putteth Himself outside of all, whereof the ‘*no one’* may be understood declarative. **But since He is apart from all, and while none hath seen the Father,** **He Alone misseth not the seeing Him**, how shall He not henceforth be conceived of, not among all, as one of them, but external to all, as above all?...**He Alone seeth the Father** **because He is of God**: deeming aright we shall understand the words *of God*, to be of the Essence of the Father, in respect of Him Alone… of the Son, on another and truer sense will His being *of God*, be demonstrated, as being of Him by Nature. Wherefore He, not numbered among the all, but being external to all, and above all with the Father, will not share the infirmity of all, in that He is excepted from affinity with them, but mounting up unto the Nature of Him that begat Him, **will surely see Him from Whom He is**.

But how or in what manner, either He beholds the Father, or is seen of the Father, it pertains not to our tongue to say: we must nevertheless conceive of it in a God-befitting manner.”[[72]](#footnote-72)

"لأن الطبيعة الإلهية وغير المدركة قد انحجبت وانسحبت ليس عن أعيننا فقط، ولكن عن أعين كل الخليقة: لأنه فى عبارة "ليس أحدًا" هو يتضمن كل الأشياء، وفى إعلانه أنه هو وحده من الله وأنه رأى الآب، يضع نفسه خارج الكل، بينما "ليس أحدًا" قد تفهم بمعنى إعلانى. **لكن حيث أنه مستقل عن الكل، وبينما لم يرى أحد الآب، وهو وحده لا تفوته رؤيته،** فكيف لا يدركه بعد، ليس ضمن الكل، كواحد منهم، لكن خارجًا عنهم، بل وفوقهم؟.. **هو وحده يرى الآب لأنه هو من الله**: وعن حق نفهم عبارة "من الله" بمعنى من جوهر الآب، فيما يخصه هو وحده.. عن الابن بمعنى آخر وأصدق فإن كونه "من الله" يبين أنه منه بحسب الطبيعة. وهكذا، لكونه غير معدود ضمن الكل، لكن خارجًا عن الكل، وفوق الكل مع الآب، فهو لا يشترك فى نقائص الكل فى أنه يستثنى عن المشابهة بهم، لكن لكونه مرتفعًا إلى طبيعة من ولده فهو **سوف يراه بلا شك الذى هو منه**.

"لكن كيف وبأى طريقة، يرى (الابن) الآب أو يُرى من الآب، لا يستطيع اللسان أن يعبّر: ومع ذلك يجب علينا أن ندرك ذلك بطريقة إلهية".

**إدعاء المساواة مع الابن هو فكر شيطانى**

يقدم لنا القديس أثناسيوس ادعاءًا قديمًا للأريوسيين وهو نفس ما يتكرر فى تلك الأيام، نقدمه مع جزء من رد القديس أثناسيوس عليه:

“The Arians, however, not even thus abashed, reply,… ‘So are the Son and the Father One, and so is the Father in the Son and the Son in the Father, as we too may become one in Him. For this is written in the Gospel according to John, and Christ desired it for us in these words, ‘Holy Father, keep through Thine own Name, those whom Thou hast given Me, that they may be one, as We are.’ And shortly after; ‘Neither pray I for these alone, but for them also which shall believe on Me through their Word; that they all may be one, as Thou, Father, art in Me, and I in Thee, that they also may be one in Us, that the world may believe that Thou hast sent Me. And the glory which Thou gavest Me I have given them, that they may be one, even as We are one; I in them, and Thou in Me, that they may be made perfect in one, and that the world may know that Thou didst send Me.’ Then, as having found an evasion, these men of craft add, ‘If, as we become one in the Father, so also He and the Father are one, and thus He too is in the Father, how pretend you from His saying, “I and the Father are One,” and “I in the Father and the Father in Me,” that He is proper and like the Father’s Essence? for it follows either that we too are proper to the Father’s Essence, or He foreign to it, as we are foreign.’ Thus they idly babble; but in this their perverseness I see nothing but unreasoning audacity and recklessness from the devil, since it is saying after his pattern, ‘We will ascend to heaven, we will be like the Most High.’ **For what is given to man by grace, this they would make equal to the Godhead of the Giver**. **Thus hearing that men are called sons, they thought themselves equal to the True Son by nature such.** And now again bearing from the Savior, ‘that they may be one as We are,’ they deceive themselves, and are arrogant enough to think that they may be such as the Son is in the Father and the Father in the Son; **not considering the fall of their ‘father the devil,’** which happened upon such an imagination.

If then, as we have many times said, **the Word of God is the same with us, and nothing differs from us except in time, let Him be like us, and** **have the same place with the Father as we have**; nor let Him be called Only-begotten, nor Only Word or Wisdom of the Father; but let the same name be of common application to all us who are like Him. For it is right, that they who have one nature, should have their name in common, though they differ from each other in point of time… But in truth neither we are Word or Wisdom, nor is He creature or work.”[[73]](#footnote-73)

"ومع ذلك فالآريوسيون إذ لا يخجلون من هذا فإنهم يجيبون:... [كما أن الابن والآب واحد، وكما أن الآب هو فى الابن والابن فى الآب، هكذا أيضًا نكون واحدًا فيه].

لأن هذا هو ما كُتب فى الإنجيل بحسب يوحنا، وهو ما طلبه المسيح لأجلنا فى هذه الكلمات "أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى ليكونوا واحدًا كما نحن" (يو17: 11). وبعدها بقليل يقول "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضًا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم، ليكون الجميع واحدًا كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فىّ ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتنى" (يو 17: 20-23). وبعد ذلك فهؤلاء الرجال الخادعون، كأنهم قد وجدوا حجة يستندون عليها يضيفون ويقولون [إن كنا نصير نحن واحدًا فى الآب، هكذا أيضًا يكون الابن واحدًا مع الآب، وهكذا أيضًا يكون هو فى الآب، فكيف تستنتجون أنتم من قوله "أنا والآب واحد"، و"أنا فى الآب والآب فىّ" أن الابن هو من ذات جوهر الآب ومساوٍ له؟ وهذا يتطلّب إما أن نكون نحن أيضًا من ذات جوهر الآب أو أن يكون هو غريب عن هذا الجوهر مثلما نحن غرباء عنه].

هكذا يثرثر هؤلاء الناس، ولكنى لا أرى فى كلامهم الباطل هذا سوى وقاحة غير معقولة وجنون شيطانى، حيث إنهم يقولون مثلما قال الشيطان "نصعد إلى السموات ونصير مثل العلى" **لأن ما يُعطى للإنسان بالنعمة هذا يجعلونه مساويًا لألوهية المُعطى لأنهم إذ سمعوا أن البشر سيصيرون أبناء لله، ظنوا أنفسهم مساويين للابن الحقيقى بالطبيعة** والآن أيضًا إذ يسمعون من المخلص قوله: "لكى يكونوا واحدًا، كما نحن"، يخدعون أنفسهم وتصل بهم الوقاحة لدرجة أنهم يظنون أنهم سيوجدون مثلما الابن هو كائن فى الآب والآب فى الابن، **غير معتبرين بسقوط أبيهم الشيطان، الذى سقط نتيجة لمثل هذا التحايل والخداع.**

فإن كان كلمة الله – كما قلنا مرات عديدة- هو مثلنا ولا يختلف عنا فى شيء سوى فى الزمن، فهو يكون مساويًا لنا وله نفس الوضع الذى لنا عند الآب ولا ينبغى عندئذ أن يدعى الابن والوحيد ولا الكلمة الوحيد ولا كلمة الآب الوحيد، بل يطلق علينا جميعًا نفس الاسم بصورة مشتركة نحن الذى نماثله، لأنه من الصواب أن الذين لهم طبيعة واحدة يكون لهم نفس الاسم... لكن حقيقة الأمر أننا لسنا الكلمة ولا الحكمة، كما أنه هو ليس مخلوقًا ولا مصنوعًا."[[74]](#footnote-74)

**خاتمة:**

نحن نكتشف أشياء غريبة!! كيف يقول أحد أن اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح هو اتحاد الله الطاقة بالناسوت!

ويهمنا أن نحترس لأن كتاب *"التأله هدف حياة الإنسان"* الذى نتكلم عنه صادر من كاهن من الروم الأرثوذكس تابع لبطريركية أورشليم وفى فاتحة الكتاب يوجد طرس بركة من مطران الروم الأرثوذكس للأردن.

ونفس المفهوم وجدناه فى كتاب بعنوان "الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور" تأليف الأب أنتونى م. كونياريس وترجمة الراهب يوئيل المقارى الذى أدانه مجمعنا المقدس فى جلسته بتاريخ 27 مايو 2007. وأمثال هذه الكتب متاحة وسوف يقرأها شبابنا، وسوف يبدأ هذا المفهوم الجديد فى اختراق فكر بعض من أبنائنا وهو أن الله ليس جوهره فقط لكن الله هو طاقته أيضًا.

لقد بدأت هذه الهرطقة تسرى!! وهى من جانب تبرر تأليه الإنسان؛ لكن الأخطر من ذلك بكثير جدًا هو أنها **تروج لرفض فكرة اتحاد الجوهر الإلهى بالجوهر البشرى فى المسيح**، ورفض الإتحاد الطبيعى بين الطبيعة الإلهية والبشرية لتكوين الطبيعة الواحدة المتجسدة لله الكلمة.

هذا هو الإيمان الذى ضحى البابا ديسقورس بكرسيه فى مقابل ألا يتنازل عنه، والذى من أجله أيضًا ضحى مئات الآلاف من الشهداء فى كنيستنا بدمائهم تحت الإضطهاد الخلقيدونى. ولنفس السبب تحملت أيضًا كنيسة أنطاكيه وكنيسة أورشليم فى بعض من الزمان إضطهادات كثيرة.

لكن، للأسف أنه فى أيامنا هذه بدأت كنائس الروم الأرثوذكس تروّج لهذه البدعة وهى تعتبر نفسها الأرثوذكسية الأصيلة فى بعض الأوقات.



1. الأرشمندريت جيورجيوس كابسانيس، رئيس دير غريغوريوس/جبل أثوس، "**التألُّه هدف حياة الإنسان**"، ترجمة الأب د. إبراهيم خليل دبور، الطبعة الثانية 2008، صفحة 37. [↑](#footnote-ref-1)
2. نفس المرجع صفحة 35. [↑](#footnote-ref-2)
3. نفس المرجع صفحة 26. [↑](#footnote-ref-3)
4. N. & P.N. Fathers, series2, P. Schaff & H. Wace, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, Vol IV, Athanasius, *Defense of the Nicene Definition*, par. 11, p. 157. [↑](#footnote-ref-4)
5. N. & P.N. Fathers, Vol IV, Athanasius ,*To the Bishops of Africa*, par. 8, p. 165. [↑](#footnote-ref-5)
6. N. & P.N. Fathers, Vol VIII, Basil, *On the Spirit*, Chapter 9, par. 22, p. 15. [↑](#footnote-ref-6)
7. N. & P.N. Fathers, Vol VIII, Basil, Letter ccxxxiv, *To Amphilochius*, par. 1, p. 274. [↑](#footnote-ref-7)
8. N. & P.N. Fathers, Vol VIII, Basil, Letter ccxxxiv, *To Amphilochius*, par. 2, p. 274. [↑](#footnote-ref-8)
9. N. & P.N. Fathers, Vol VII, Gregory of Nazienzen, *Fourth Theological Oration*, point xvii, p. 316. [↑](#footnote-ref-9)
10. N. & P.N. Fathers, Vol IV, Athanasius, *Four Discourses Against the Arians, Discourse IV*, par. 20, p. 318. [↑](#footnote-ref-10)
11. N. & P.N. Fathers, Vol VII, Gregory of Nazienzen, *Third Theological Oration*, point X, p. 304. [↑](#footnote-ref-11)
12. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *Defense of the Nicene Definition***,** Chapter 5, point 22, p. 165. [↑](#footnote-ref-12)
13. فى قانون الإيمان النيقاوى. [↑](#footnote-ref-13)
14. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *Four Discourses Against the Arians, Discourse II,* par.2, p. 349. [↑](#footnote-ref-14)
15. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *Four Discourses Against the Arians, Discourse II*, par. 2, p. 349. [↑](#footnote-ref-15)
16. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *Four Discourses Against the Arians, Discourse III,* par. 61, p. 427. [↑](#footnote-ref-16)
17. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *Four Discourses Against the Arians, Discourse III*, par. 62, p. 427. [↑](#footnote-ref-17)
18. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *Four Discourses Against the Arians, Discourse III*, par. 62, p. 428. [↑](#footnote-ref-18)
19. Saint Cyril Patriarch of Alexandria, *Commentary on the Gospel of Saint Luke*, Translated by R. Payne Smith, Studion Pub. 1983, chapter 3, p. 81. [↑](#footnote-ref-19)
20. Pusey, *The* *Commentary on the Gospel of St. John by St. Cyril of Alexandria*, Part 1, Vol.. IV, book I, chapter IX, p. 101. [↑](#footnote-ref-20)
21. David W. Bercot, *A Dictionary of Early Christian Beliefs*, Hendrickson Publishers, USA, 1998, p.35, 36. [↑](#footnote-ref-21)
22. John a. McGuckin, *The Westminister Handbook to Patristic Theology*, Westminster John Knox Press, Louisville, London, 2004, p. 29, 30. [↑](#footnote-ref-22)
23. Philip Schaff, *History of the Christian Church*, Vol. III, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, reprinted 1987, p. 619-620. [↑](#footnote-ref-23)
24. A.N. Fathers, Vol. II, Clement of Alexandria, *The Stromata or Miscellanies*, p. 534. [↑](#footnote-ref-24)
25. N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. II, Socrates*, Ecclesiatical History*, chapter X, p. 39-40. [↑](#footnote-ref-25)
26. N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. V, Gregory of Nyssa, *On “Not Three Gods”*, p. 334. [↑](#footnote-ref-26)
27. C.R.B. Shapland, *The Letters of Saint Athanasius Concerning the Holy Spirit,* The Epworth Press, London, 1951, Letter 3, par. 5, p. 174-175. [↑](#footnote-ref-27)
28. Shapland, *The Letter of Saint Athanasius Concerning the Holy Spirit,* The Epworth Press, 1951, Letter 1, par. 28, 134\_135. [↑](#footnote-ref-28)
29. Shapland, *The Letter of Saint Athanasius Concerning the Holy Spirit,* The Epworth Press, 1951, Letter 3, par. 5, p. 174-175. [↑](#footnote-ref-29)
30. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *Four Discourses Against the Arians, Discourse IV*, par. 20, p. 318. [↑](#footnote-ref-30)
31. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *Statement of Faith*, par. 2, p. 85. [↑](#footnote-ref-31)
32. Elowsky, J.C., *Ancient Christian Commentary Scripture*, New Testament IVa, John 1-10, p. 55, 56, quoting Ambrose, *On the Patriarchs,* 11.51. [↑](#footnote-ref-32)
33. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *On Luke 10:22, Matthew 11:27*, point 3, p. 88. [↑](#footnote-ref-33)
34. Pusey, *The Commentary on the Gospel of St. John by St. Cyril of Alexandria*, part I, Vol IV, The Oriental Orthodox Library, England 2006, book IV, chapter II, p. 369, 370. [↑](#footnote-ref-34)
35. *The Commentary on the Gospel of St. John by St. Cyril of Alexandria*, part I, Vol IV, book II, chapter VI, p. 240. [↑](#footnote-ref-35)
36. N. & P.N. Fathers, series1, Vol. 14, *The Homilies of St. John Chrysostom on John*, Homily 15, par. 1&2, p. 52. [↑](#footnote-ref-36)
37. N. & P.N. Fathers, Vol. VII, Cyril of Jerusalem, *Catechetical Lectures, Lecture* 6, par. 6, p. 34. [↑](#footnote-ref-37)
38. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *On Luke 10:22, Matthew 11:27*, point 6, p. 90. [↑](#footnote-ref-38)
39. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, St Athanasius, *Against the Arians*, *Discourse II*, chapter 14, par. 11, p. 354. [↑](#footnote-ref-39)
40. N. & P.N. Fathers, Gregory of Nazienzen, *Oration 39, Oration on the Holy Lights*, point xii, p. 356. [↑](#footnote-ref-40)
41. N.& P. N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *Expositio Fidei* (Statement of Faith), p. 84, 85. [↑](#footnote-ref-41)
42. "التأله هدف حياة الإنسان" صفحة 37. [↑](#footnote-ref-42)
43. "التأله هدف حياة الإنسان" صفحة 36. [↑](#footnote-ref-43)
44. "التأله هدف حياة الإنسان" صفحة 78، 79. [↑](#footnote-ref-44)
45. "التأله هدف حياة الإنسان" صفحة 38. [↑](#footnote-ref-45)
46. "الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور" تأليف الأب أنتونى كونياريس وترجمة الراهب يوئيل المقارى صفحة 151. [↑](#footnote-ref-46)
47. يلاحظ التلاعب المتعمد فى ترجمة فى عبارة "لنكون فى هذا العالم مسيحاً على الأرض" فلم ترد كلمة "مسيحاً" فى الأصل الإنجليزى إنما Christs وترجمتها "المسيح متكرراً".

    وكذلك عبارة "الكلمة الذى صار متجسداً فى بولس بطريقة سرية، يستطيع أن يتجسد أيضاً فينا بنفس الطريقة" لم يرد فى الأصل الإنجليزى عبارة "بطريقة سرية" ولا عبارة "بنفس الطريقة" والإضافات تعتبر تلاعباً فى الترجمة. [↑](#footnote-ref-47)
48. Anthony Coniaris, “*Orthodoxy: A Creed for Today”,* Light and Life Pub. Com. 1972, p. 118. [↑](#footnote-ref-48)
49. V.C. Samuel, *The Council of Chalcedon Re-examined*, The Senate of Serampore College 1977, p. 174, quoting ACO. II, I, p. 326:30-34. [↑](#footnote-ref-49)
50. *The Fathers of the Church, St. Cyril of Alexandria*, Letters 1-50, Vol. 76, translated by John I McEnerney, *To Acacius Bishop of Melitene*, Letter 40, point 10, p. 157. [↑](#footnote-ref-50)
51. *To Nestorius*, Letter 17, par. 9, 83, 84. [↑](#footnote-ref-51)
52. Ibid. 84, 85. [↑](#footnote-ref-52)
53. *To Acacius Bishop of Melitene*, Letter 40, point 14, p. 160. [↑](#footnote-ref-53)
54. A.N. Fathers, Vol. V, *The Treatise of Cyprian*, point 10, p. 519. [↑](#footnote-ref-54)
55. *To Eulogios the Priest*, Letter 44, par, 2, p. 186. [↑](#footnote-ref-55)
56. *To Succensus of Deocaesarea*, Letter 45, par. 6, 193. [↑](#footnote-ref-56)
57. *To Succensus of Deocaesarea*, Letter 46, par. 6, 201. [↑](#footnote-ref-57)
58. A.N. Fathers, Vol. I, *Epistle of Ignatius to the Romans*, chapter VII, p. 77. [↑](#footnote-ref-58)
59. A.N. Fathers, Vol. V, *The Treatise of Cyprian*, treatise IV, par. 18, p. 452. [↑](#footnote-ref-59)
60. A.N. Fathers, Vol. V, *The Epistles of Cyprian* , Epistle LIII, par.2, p. 337. [↑](#footnote-ref-60)
61. A.N. Fathers, Vol. I, *Irenaeus Agaisnt Heresies*, chapter II, par. 2, p. 528. [↑](#footnote-ref-61)
62. "التأله هدف حياة الإنسان"، صفحة 29. [↑](#footnote-ref-62)
63. *Scholia on the Incarnation of the Only-Begotten* by St. Cyril of Alexandria, Point 12. [↑](#footnote-ref-63)
64. Liddon, *The* *Commentary on the Gospel of St. John by St. Cyril of Alexandria*, Part 2, vol. v, The Oriental Orthodox Library, England 2006, book XI, chapter XII, p. 483. [↑](#footnote-ref-64)
65. A.N. Fathers, Vol. V, *The Epistles of Cyprian*, Epistle LXXIV, par. 21, p. 395. [↑](#footnote-ref-65)
66. "التأله هدف حياة الإنسان"، صفحة 23. [↑](#footnote-ref-66)
67. انظر رسالة القديس كيرلس الكبير إلى فالريان أسقف إيقونية وهى الرسالة رقم 50 فى عداد الرسائل من وإلى القديس كيرلس. [↑](#footnote-ref-67)
68. N.& P. N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *On the Incarnation of the Word*, chapter 21, p. 48. [↑](#footnote-ref-68)
69. N & P.N. Fathers, Vol. IV, Athanasius, *To Epictetus*, Letter 59, par. 10, p.574. [↑](#footnote-ref-69)
70. Pusey, *The* *Commentary on the Gospel of St. John* *by St. Cyril of Alexandria*, Part 1, vol. IV, book IV, chapter II, p. 381-382. [↑](#footnote-ref-70)
71. *To Valerian of Iconium*, Letter 50, par. 12, p. 218. [↑](#footnote-ref-71)
72. Pusey, *The Commentary on the Gospel of St. John by St. Cyril of Alexandria*, part I, Vol IV, book IV, chapter II, p. 369, 370. [↑](#footnote-ref-72)
73. N. & P.N. Fathers, Vol. IV, St. Athanasius, *Discourses Against the Arians, Discourse III*, chapter 25, points 17&18, p. 403, 404. [↑](#footnote-ref-73)
74. ضد الأريوسيين -المقالة الثالثة- للقديس أثناسيوس الرسولى، ترجمة مؤسسة القديس أنطونيوس المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، الطبعة الثانية 2007، صفحة 39-41. [↑](#footnote-ref-74)